السبت 11 شباط 2023
العدد 4847 السنة السابعة عشرة
Samedi 11 Février 2023 no 4847 17ème année

24 صفحة
20000 ليرة

الأخبار
al-akhbar

www.al-akhbar.com

كلمات

لور غريّب
طفلة بيروت ثابتة على جدران الفن والذاكرة

نحو التمديد لكل المديرين العامين في المؤسسات المدنية والأمنية والعسكرية [2]

اطلب القوس مع الأخبار

الغرب - سوريا

حسابات الوحوش الباردة

[4 ـ 12]

(أ ف ب)

المشهد السياسي

نحو التمديد لكل المديرين العامين في المؤسسات المدنية والأمنية والعسكرية

أصداء لقاء باريس: الخلافات أكبر

في ظل تعاظُم المأزق السياسي - الدستوري وانعدام المبادرات لأسباب يختلط فيها المحلي بالإقليمي، نجحت الاتصالات السياسية في إزالة العوائق أمام التمديد لرؤساء المؤسسات المدنية والأمنية والعسكرية، وتأمين «الأكثرية»، العددية والميثاقية، المطلوبة لذلك في مجلس النواب. وادى إلى دعوة الرئيس نبيه بري هيئة مكتب المجلس إلى اجتماع الاثنين المقبل للاتفاق على جدول أعمال جلسة تشريعية تُعقد في الأسبوعين المقبلين.

> التوافق السياسي على جلسة تشريع الضرورة يهمّش القوّات ومن يدورون في فلكها

أتت هذه الدعوة بعد حلحلة العقبات أمام التمديد للمدير العام للأمن العام اللواء عباس إبراهيم، الذي زار عين التينة أول من أمس. فيما بات من شبه المؤكد أن التيار الوطني الحر سيؤمّن الميثاقية المطلوبة، كتلة مسيحية أساسية، لكن شرط «أن تُدرج على جدول أعمال الجلسة بنود إصلاحية كقانون الكابيتال كونترول، فضلاً عن عدم حصر التمديد بالمدير العام للأمن العام فقط».

وعلمت «الأخبار» أن الأيام الأخيرة شهدت اتصالات مكثفة لإنضاج الاتفاق على تمديد ولاية اللواء إبراهيم التي تنتهي في 3 آذار المقبل. وفيما موقف «الثنائي الشيعي» محسوم إيجاباً، أكّدت مصادر رئيس الحكومة نجيب ميقاتي أنه «يرحّب من حيث المبدأ» بالتمديد، انطلاقاً من «ثقته باللواء وللحفاظ على استقرار المؤسسات الأمنية»، نافية أن يكون رئيس الحكومة قد وضع شروطاً من قبيل التمديد للمدير العام لقوى الأمن الداخلي اللواء عماد عثمان الذي لن يُحال على التقاعد قبل عام، علماً أن معلومات تشير إلى أن رئيس الحكومة هو وراء اقتراح القانون الذي تقدّم به نواب من كتلة «الاعتدال الوطني» بالتمديد سنتين لكلّ من قائد الجيش والمدير العام لقوى الأمن الداخلي ابتداءً من تاريخ تقاعدهما، وللمدير العام للأمن العام ابتداءً من تاريخ انتهاء ولايته. إلا أن الأجواء تفيد بـ«صعوبة السير بطرح كهذا، وخصوصاً لجهة التمديد لقائد الجيش الذي يفترض أن تنتهي مهامه مع انتخاب رئيس للجمهورية، وهو ما يعتبر مصادرة لحقّ الرئيس المقبل في اختيار قائد عهده».

وإلى هذا الاقتراح، تقدم النائب علي حسن خليل باقتراح قانون معجّل مكرر يمدّد تعيين المديرين العامين في الإدارات والمؤسسات ورؤساء الأجهزة الأمنية لمدة ثلاث سنوات»، بينما تفضّل كتلة «اللقاء الديموقراطي»، بحسب مصادرها، السير بصيغة أعدّها نوّاب في اللقاء، وتقضي بتشريع عملية رفع سن التقاعد لموظفي الفئات الأولى والثانية والثالثة من 64 عاماً كما هو معمول به إلى 68، ورفع سنّ التقاعد لموظفي الفئة الرابعة الى 66 عاماً. وعليه يكون اللواء إبراهيم من ضمن هؤلاء، علماً أن حاكم مصرف لبنان رياض سلامة يستفيد من هذا الطرح.

(هيثم الموسوي)

التوافق الذي يهمّش القوات اللبنانية ومن يدور في فلكها من «سياديين» و«تغييريين» ممن يرفضون عقد جلسات تشريع الضرورة، سعّر الخلاف بين القوات والتيار الوطني الحر، وخصوصاً أن الأخير لم يُنجرّ إلى المزايدة القواتية في رفض التشريع في ظل الفراغ الرئاسي. وقد هاجم رئيس القوات سمير جعجع، أمس، التيار الذي «لم يكتفِ بمساهمته بالأضرار التي أوقعها على اللبنانيّين وفي طليعتهم المسيحيّين، في السّنوات الستّ الماضية، حيث حوّل نهارهم ليلاً، وحياتهم جحيماً، بل هو يُصرّ على ملاحقتهم وتنغيص عيشهم حتّى اللّحظة وكلّ ذلك من أجل حفنة من المناصب». فيما «شكر» التيار جعجع «الحرصه المباغت على موقع الرئاسة. لكن حبّذا لو منّ على اللّبنانيّين بحرصه هذا في السنوات الرئاسيّة الستّ، الّتي لم يترك معوّلاً إلّا واستخدمه هدماً وتنكيلاً وتدميراً بموقع الرّئاسة وصلاحيّات الرئيس، لا لسبب إلا لأحقاده الشخصيّة». وذكّر بيان اللجنة المركزيّة للإعلام في التيار قائد القوات بأنه «ليس في موقع الناصح لتحديد الموقف من المشاركة في الجلسة التشريعيّة، ولا هو أهل لذلك، وهو من شارك في عدّة جلسات تشريع الضرورة في مرحلة الفراغ الرّئاسي 2016- 2014».

من جهة أخرى، لا تزال القوى السياسية منشغلة بمتابعة ما خلُص إليه لقاء باريس الخماسي، الاثنين الماضي، مع تضارب المعلومات الواردة إلى بيروت. فبين تأكيد مصادر دبلوماسية «وجود تباينات بين الدول الخمس يعكسها تأخر صدور بيان عن اللقاء»، لفتت أوساط مطلعة إلى أن عدم صدور البيان سببه «عودة المشاركين الى المسؤولين في عواصمهم لمراجعة النص، وقد تأخّر الرد السعودي علماً أن وزيرة الخارجية الفرنسية كاترين كولونا كانت ترتبط بموعد سفر، فلم يصر إلى إصدار بيان». وأكدت أن المداولات شهدت «اختلافاً في وجهات النظر وليس خلافات أو تباينات»، مشيرة إلى أن نتائج الاجتماع الحقيقي سيتبلّغها المسؤولون اللبنانيون مطلع الأسبوع.

وقد علمت «الأخبار» أن السفراء: المصري والفرنسي والأميركي والقطري طلبوا موعداً للقاء رئيس مجلس النواب لإطلاعه على النقاط التي جرى الاتفاق حوله (قد يتغيّب السفير السعودي عن اللقاء لوجوده خارج لبنان)، وربما سيكون هناك لقاء مع رئيس الحكومة.

(الأخبار)

تقرير

قصّة العودة اللبنانية الرسمية إلى دمشق

غسان سعود

في جلسة مجلس الوزراء، الاثنين الفائت، بعيد اجتماع هيئة إدارة الكوارث، كُلّف الوزير ناصر ياسين الاتصال بالسلطات التركية، والوزير علي حميّة «الاتصال بالإخوة في سوريا» لتحديد ماهيّة المساعدة الأهمّ التي يحتاج إليها الطرفان. على الفور، بدا الوزيران اتصالاتهما: كان التركي واضحاً في حاجته إلى اختصاصيين في إدارة عمليات البحث، فتمّت تلبية مطلبه خلال بضع ساعات. أما على الخط السوري، فقد تواصل حمية مع وزير النقل أولاً، ثم مع وزير الصحة الذي كان يستعد للعودة بشكل طارئ من سويسرا إلى دمشق عن طريق بيروت، فتم تأمين وصوله رغم العاصفة التي أقفلت طريق ضهر البيدر. لاحقاً، في اليوم نفسه، شرح رئيس الوزراء السوري حسين عرنوس لحميّة في اتصالهما الهاتفي الأول أن المصيبة أكبر بكثير جداً مما ينقل في الإعلام، مقدّماً تفاصيل أولية مرعبة. وهو ما نقله حميّة إلى ميقاتي، مؤكداً لرئيس حكومته أن من لا يضع كل قدراته بتصرف الدولة السورية في مصابها هذا لن يسأل عنه التاريخ. إنه حدث مفصليّ، قال حميّة، فهاتف ميقاتي عرنوس - على الفور - من دون استشارة أحد، في اتصال تجاوز بسرعة الأطر البروتوكولية.

وأقفل ميقاتي من بعده ليتصل فوراً بحميّة وبخبره «أن علينا فعل كل ما نستطيع وأكثر»، مشجّعاً على استنفار القطاع الخاص لجهة الآليات طالما لا تملك الدولة اللبنانية الباتها الخاصة. أما ياسين فكان قد جهّز بالتعاون مع قيادة الجيش والدفاع المدني الفريق الصغير الذي أمكن تأمينه من الاختصاصيين الذين يحتاج إليهم الأتراك، وتقرر أن يغادر الفريق الخاص بتركيا عند الثامنة مساء، فيما ينطلق الفريق الضخم - الرسمي والخاص - من الكرنتينا إلى سوريا عند الثامنة من صباح اليوم التالي.

مساء الاثنين، كانت صورة ما يحصل في سوريا في ظل الحصار الأميركي وقانون قيصر تتّضح أكثر فأكثر. ما كادت تشرق شمس الثلاثاء، حتى اتّصل حمية - وتحديداً عند السادسة والنصف صباحاً - برئيس حكومته ليعلمه أن شركات الطيران تتذرّع بقانون قيصر لعدم الهبوط في المطارات السورية؛ ولا بد إذا كنّا صادقين في نوايانا تجاه الدولة السورية من أن نفتح المجال الجوي لهبوط الطائرات المحمّلة بالمساعدات الإنسانية في مطار بيروت، من دون أية رسوم، مع رفع الرسوم أيضاً عن قافلات المساعدات الإنسانية من لبنان إلى سوريا حتى إشعار آخر. مرة أخرى، دون أن يراجع ميقاتي أحداً أو يأخذ وقتاً للتفكير، أجاب حميّة أن بوسعه أن يفعل كل ما يراه مناسباً. هكذا، ذهب حميّة إلى نقطة الانطلاق عند الثامنة صباحاً ليعلن أن مطار بيروت هو مطار دمشق وحلب والشام وإدلب واللاذقية وكل المناطق المتضررة، ولا خشية لبنانية من «قيصر»، في وقت كان فيه وزير الخارجية عبد الله بوحبيب قد دخل على الخط السوري أيضاً عبر اتصالات تضامن وتعزية برئيس الحكومة السورية ووزير الخارجية فيصل المقداد. كان بوحبيب أول من اقترح تشكيل وفد حكومي رسمي يتجاوز في الشكل والمضمون زيارة

> وافق ميقاتي فوراً على فتح الحدود الجوية والبرية وتشكيل وفد وزاري من دون أن يراجع أحداً

الوزراء اللبنانيين سابقاً إلى سوريا، فسارع ميقاتي إلى الترحيب أيضاً، وبادر إلى إجراء الاتصالات بنفسه لتشكيل الوفد. ورغم أن الأمر صعب التصديق، فإن كلّ من عايش ساعات هذين اليومين يؤكد أن شعوراً عاطفياً طغى على حسابات ميقاتي السياسية المعتادة، ولا علاقة لأدائه الأخير باستيائه المفترض من الموقف الخليجي السلبي تجاهه أو بخضوعه لضغوط سياسية. إذ لم يتطلّب الأمر أيّ ضغط مركزي جدّي من حزب الله. ورغم أن الوفد يمثل الحكومة عموماً ورئيسها خصوصاً، كانت لافتة الوقاحة في رفض الوزراء: بسام المولى وأمين سلام وفراس الأبيض المشاركة، فاستعيض عنهم في التركيبة الطائفية للوفود اللبنانية بأحد أرفع المناصب الإدارية في رئاسة مجلس الوزراء المتمثّل برئيس الهيئة العليا للإغاثة، إضافة إلى الأمين العام لوزارة الخارجية. وإذا كان مضمون الزيارة إنسانياً بامتياز، فإنّ الشكل كان سياسيًا بامتياز، عبر تكليف وزير الخارجية رئاسة الوفد. وهو ما قابلته الدولة السورية فوراً في منتصف الطريق عبر مراسم استقبال رسمية، توّجت بلقاء مع الرئيس السوري بشار الأسد. وبعيداً عن المجاملات البروتوكولية التقليدية، كان يمكن التوقف عند قول الأسد لضيوفه إن الموقف اللبناني الرسمي تجاه «قيصر» والمرافئ والمطار والحدود هو موقف معنوي مهمّ جداً، بموازاة تخصيصه الرئيس ميقاتي بردّ السلام والطلب من الوفد أن «يسلّموا عليه»، رغم أن الوفد نقل أكثر من سلام وتعزية لبنانيين. وإذ أظهر الأسد صلابة صقلتها سنوات الحرب الاثنتي عشرة، فإنه أكد لضيوفه أن الكارثة كبيرة جداً. مع تكرار التأكيد على معرفة سوريا بحجم الأزمة المالية والاجتماعية والاقتصادية، ما يضاعف من رمزية كل مساعدة لبنانية.

لاحقاً، مع عودة الوفد إلى لبنان، متيقّناً من دور متقدم للسفير السوري السابق في لبنان علي عبد الكريم علي في الخارجية السورية في ما يخصّ لبنان، كان يمكن الاستخلاص أن صفحة جديدة من العلاقات السياسية والرسمية يمكن أن تفتح بين لبنان وسوريا، من دون أن يملك أحد في الوقت نفسه تصوراً منطقياً لكيفية تقدم الأمور. وإذا كان «كسر قيصر» قبل مسارعة الأميركيين إلى إغداق التصاريح بشأن استثناء المساعدات الإنسانية من القانون يوازي في أهميته لبنانياً تشكيل رئيس الحكومة لوفد رسمي برئاسة وزير الخارجية لزيارة دمشق، فإنّ أحد أبرز تحديات المرحلة المقبلة سيكون الاستمرار في الالتفاف على «قيصر» رغم كل ما يمكن أن يرافق ذلك من تداعيات داخلية وخارجية، إذ إن الأزمة الإنسانية تتواصل في سوريا قبل الزلزال وبعده، و«الموقف المعنوي» أهمّ في الظرف الطبيعي منه في ظرف غير طبيعي.

في الواجهة

الرئاسة المعطلة: باسيل من ناخب رئيسي إلى مانع رئيسي

> لا أوهام عند أفرقاء انتخابات رئاسة الجمهورية أن في وسعهم، مجتمعين أو منفردين، كسر الحلقة المفرغة التي تدور من حولها. الجميع داخلها محاصرون بشروطهم، دونما أن يكون ثمة أمل من خارجها يُظن أن طرفاً دولياً يسعه إخراج الجميع من مأزقهم

نقولا ناصيف

اعطى الاجتماع الخماسي في باريس اخيراً امثولة اضافية الى الدور المقيّد الذي يسع المجتمع الدولي، او على الاقل الدول المهتمة بلبنان، الاضطلاع به في الوقت الحاضر. في ظاهره الاكتفاء بنصح الاطراف المحليين بالاتفاق على رئيس ينتخبونه، وفي باطنه انتظار صدمة ما او مفاجأة تقلب الجمود رأساً على عقب وتفرض أمراً واقعاً عليهم جميعاً. ما عناه الاجتماع كذلك انه ليس في وارد ان يكون شريكاً في ادارة الاستحقاق الرئاسي، بل مراقبة سبل تمكن اللبنانيين من التفاهم على رئيس جديد للبلاد. الاشارة الايجابية عند المجتمعين في العاصمة الفرنسية، قاربها الداخل اللبناني بخيبة، استعداد الدول الخمس للتعاون مع الرئيس المقبل.

اما المغزى المكمّل فهو نفسه في مخاطبة هؤلاء قبلاً وحالياً الحكومة اللبنانية، عندما ترأسها الرئيس حسان دياب ثم من بعده الرئيس نجيب ميقاتي، ان لا شراكة او مبادرات جدية ومساعدات للبنان الا بعد تنفيذ الاصلاحات البنيوية.

لم تعد كذلك مباراة الارقام المعبّر عنها في جلسات انتخاب الرئيس حتى الجلسة الحادية عشرة في 19 كانون الثاني المنصرم والمعلقة منذ ذاك، ذات جدوى. مَن لم يملك النصف زائداً واحداً لن يحوزه بعد الآن، ومَن اعتقد انه يملكه تحقّق من العكس. ربما ذلك قاد رئيس البرلمان نبيه برّي الى استنتاجه ان من غير المفيد توالي دعوة المجلس الى جلسة تلو اخرى على نحو ما فعل بين عامي 2014 و2016. منذ الجلسة الثالثة في 19 تشرين الاول، اضحت الجلسات المتعاقبة نسخة طبق الاصل عن تلك، رامت في كلها الى تأكيد الاحجام المستقرة لكتل المجلس. لا ينافس النائب ميشال معوض سوى الاوراق البيض ثم لاحقاً الاوراق الملغاة. لا احد من الكتل والاحزاب المعنية يريد كسر الجمود المتمادي.

كذلك لم يعد ثمة رهان على فريق يسعه بالفعل الاضطلاع بدور الوسيط. سقط رهان اول على النواب السنّة المحسوب انهم قادرون على ترجيح الكفة، بأن ذهبوا الى الاقتراع لصفات ومواصفات لا لمرشحين جديين. عُزي ترددهم الى الموقف المُعدّ سلبياً تتخذه السعودية من الاستحقاق بنأيها بنفسها عنه، والتصرّف كأنها غير معنية به في الوقت الحاضر. لا تؤيد مرشحاً ولم ينسب اليها قولها انها ترفض احداً. هو التفسير نفسه ينطبق على موقف حزب القوات اللبنانية المؤيد لمعوض والعارف في الوقت نفسه انه يرشح الحظ العاثر في ظل توازن القوى الحالي. سقط رهان ثانٍ على وليد جنبلاط بعدما اقترح مبادرة رغم وضوحها وسهولتها بطرح اسماء محتملة لرئاسة الجمهورية، بيد ان مقاربته هذه شقين يصعب تقاطعهما مع الثنائي الشيعي: رفضه انتخاب سليمان فرنجية الذي يدعمه الثنائي وبعده مرشحه الوحيد، واقتراحه في المقابل قائد الجيش العماد جوزف عون الذي يتفادى الثنائي الخوض فيه ولا يخفي عدم حماسته له ما دام اختار مرشحه سلفاً.

ما بات واضحاً ومعروفاً في خريطة توزّع الكتل والاحزاب انها صارت تحتاج الى مَن ينقذها من شروطها التي يتعذر على كل منها التخلي عنها بلا تعويض. لا احد جاهزاً كي يتنازل مجاناً، وليس بين هؤلاء مَن يملك ان يستأثر باللعبة بمفرده.

في الجلسات المتتالية ظهر كأنه عامل حاسم لمَن في حوزته 65 صوتاً - وهو نصاب الاكثرية المطلقة للفوز من الدورة الثانية - يمكنه في نهاية المطاف من فرض مرشحه. تأكد لاحقاً فشل الرهان على التعداد ايضاً. ما اضحى يدور الاستحقاق الرئاسي في فلكه هو تأكيد كل من الافرقاء على مفتاح المنع الذي يملكه، اضف تحوّل شروطه الى مشكلته هو قبل سواه:

1 - لا يسع حزب الله التخلي عن ترشيح فرنجية لسبب جوهري لديه هو ان لا مرشح سواه يثق به. بيد ان اصراره عليه، على نحو ما هو بار حتى الآن، مؤداه انه يقايض به تحالفه للمرة الاخيرة مع التيار الوطني الحر ورئيسه النائب جبران باسيل. احتمال وصول فرنجية الى الرئاسة، بينما باسيل يرفضه، لن يُفسّر سوى انتقال حزب الله بالعلاقة مع التيار ورئيسه خصوصاً من الخلاف والتباين الى الاستغناء الكلي عنهما. لدى البعض الملم يجد العبارة المثلى لهذه الخاتمة انها «سحق» حقيقي لباسيل في معادلة سياسية وميدانية يمسك الحزب بمعظم مفاصلها في السلطة وخارجها.

الى الآن، الى ان يتمكن الحزب من فرض انتخاب فرنجية دونما ان يعلن ترشيحه له، يمرر الانطباع السائد بأن ما بينه والتيار خلافاً وتبايناً ليس الا. يلاقي التيار في تعليق «تفاهم مار مخايل» ولا يريد في هذا الوقت بالذات الاستغناء عنه. على ان المشكلة المستجدة للحزب باتت تكمن في افتقاره الجدي الى نصابي انتخاب فرنجية: اكثرية الثلثين ثم الاكثرية المطلقة.

> الإشارة الإيجابية الوحيدة للاجتماع الخماسي مؤجلة: استعداد للتعاون مع الرئيس المقبل

2 - يتصرف باسيل على انه تمكن اخيراً من فرض ممنوعين قد يكونان آخر ما يسعه ان يفرضه على حلفائه وخصومه، هما منع انتخاب فرنجية وقائد الجيش للرئاسة. بينما يحوط الغموض بموقف حزب الله من قائد الجيش كاحد الخيارات المفتوحة والمحتملة دونما ان يكون بالضرورة نهائياً، لا يملك في المقابل انتخاب فرنجية في معزل عن كتلة التيار الوطني الحر بالحصول على 65 صوتاً على الأقل. ذلك ما يُفسّر قصر باسيل خوضه الاستحقاق على هذين الممنوعين دونما ان يكون لديه مرشح بديل. لأنه فقد فرصة ان يكون الناخب الرئيسي لانتخاب الرئيس، ادار اللعبة في وجهة معاكسة: ان يكون المانع الرئيسي.

تقرير

الحريري في بيروت غداً

ينتظر أن يصل الرئيس سعد الحريري إلى بيروت مساء غد لإحياء الذكرى السنوية لاغتيال والده الرئيس الراحل رفيق الحريري. وعلمت «الأخبار» أن الحريري سيلتقي بعض كوادر تيار المستقبل الاثنين، فيما بدأ بعض مسؤولي التيار في المناطق بحثَ محبّي الحريري على النزول إلى ضريح الرئيس رفيق الحريري ظهر الثلاثاء المقبل، حيث يتلو الحريري الفاتحة كما في العام الماضي، من دون أن تكون له أي كلمة سياسية.

وتردّد أن رئيس الحكومة السابق حدّد مواعيد لاستقبال سياسيين ممن يُعدّون في «دائرة الأصدقاء»، في بيت الوسط، بعيداً من الإعلام، على أن يُغادر بيروت صباح الأربعاء عائداً إلى مقر إقامته في دولة الإمارات العربية المتحدة.

ساعدونا بالاستجابة وتقديم العون لضحايا الزلزال
عبر منظمة الهلال الأحمر العربي السوري
من خارج سورية على رقم حسابنا في بنك بيمو - لبنان

Account Name: SYRIAN ARAB RED CRESCENT
IBAN: LB53 0093 0000 0035 0701 9366 1EUR
SWIFT : EUMOLBBE
Banque BEMO Sal
Beirut - Lebanon

Correspondent Bank Details:
SWIFT: DEUTDEFF
Deutsche Bank AG (Frankfurt am Main)
Account Number: DE53 5007 0010 0954 6805 00

Help us to respond and provide aid to the earthquake victims
in Syria via the Syrian Arab Red Crescent Organization from outside of Syria
through our account number
Bemo Bank- Lebanon

SYRedCrescent www.sarc.sy

على الغلاف

حملات التبرع مستمرة

الجنوب: لبنانيون وفلسطينيون وسوريون يشاركون في الإغاثة

لمرتين، امتلأت حمولة الشاحنة بالفرش والحرامات والألبسة والمواد الغذائية (علي حشيشو)

أمال خليل

في استعادة لحملات الإغاثة في عدوان تموز 2006، تزاحمت حملات إغاثة منكوبي زلزال سوريا في مدن الجنوب وبلداته. من شبعا والخيام، إلى النبطية وصور والزهراني وصيدا، تُنشطت حملات جمع التبرّعات العينية والأدوية والأموال رداً لجميل الشعب السوري وكسراً للحصار والعقوبات. وبعدما انطلق عدد من القوافل في الأيام الماضية، من المنتظر بأن تنطلق قوافل جديدة في ظل استمرار حملات جمع المساعدات في الجنوب وصيدا.

من القوافل الأولى التي انطلقت، سيارات إسعاف ومنقذون في «كشافة الرسالة الإسلامية» و«الهيئة الصحية الإسلامية» من مراكز صور والنبطية. ثم التحقت بها إسعافات من «هيئة الإنقاذ الشعبي» في صيدا، ومن «مؤسسة المخيمات» في عين الحلوة. إلى عاصمة الشتات وإخوانه من المخيمات، تُرسل الأموال من الفلسطينيين المغتربين إلى الجمعيات والفصائل لشراء مساعدات وأدوية لإرسالها إلى سوريا. وفي إطار الإسعاف أيضاً، انطلقت قوافل مماثلة من مراكز «النجدة الشعبية اللبنانية» في أنصار ودير الزهراني والنبطية. ومن تلك البلدات وجاراتها، وُضبت مساعدات عينية جمعها نشطاء النجدة والحزب الشيوعي اللبناني من بحمر وزوطر وكفررمان وجاراتها. وانطلقت آخر قوافلها فجر أمس من منزل الشهيد أبو جمال بدران في دير الزهراني.

في مدينة صيدا، انطلقت فجر أمس أيضاً قافلة مساعدات جمعها مستوصف «الشهيد رشيد بروم – صيدا»، من المدينة ومحيطها. متطوّعو «رشيد بروم» فضلوا بالا يكلفوا الراغبين بالتبرّع عناء التوجه إلى مركزهم. سيّروا شاحنة مزوّدة بمكبر صوت وجالوا بها على بعض شوارع المدينة صعوداً باتجاه شرقها. حسين بنجك أحد الذين استلموا التبرّعات، توقف عند التقاءل اللافت مع دعوات الإغاثة. «لم يسألنا أحد عن وجهة المساعدات. لأي منطقة؟ للموالاة أم المعارضة؟». لمرتين، امتلأت حمولة الشاحنة بالفرش والحرامات والألبسة والمواد الغذائية. أكثر ما أثر ببنجك في جولة الجمع، النازح السوري المقيم في عبرا الذي لبى النداء، لكنه لم يكن يملك سوى الحذاء الذي يلبسه. خلعه من رجليه وسلّمه للمتطوعين وعاد حافياً إلى منزله. في المقابل، رفض المتطوّعون استلام أموال بالدولار من نازحين آخرين، فاستبدلها أصحابها بحاجيات اشتروها مباشرة من المتاجر. فيما تبرّع آخرون بإعاشات كانوا قد تلقوها سابقاً من حرامات وسترات وشنط مدرسية...

ظهراً، انطلقت من كورنيش صيدا حافلتا مساعدات جمعها متطوّعون على مدى الأسبوع الجاري عقب وقوع الزلزال فجر الإثنين الماضي. عبر صفحته على «فايسبوك»، أطلق بلال البزري نداء الإغاثة، فلبّاه العشرات من صيدا إلى عبرا الشعب ومخيمات صور والناعمة. المستودع الواقع ضمن منزل عائلته عند دوار مكسر العبد، امتلأ بأصناف مختلفة من المساعدات: حليب وحفاضات والعاب الأطفال والفوط الصحية النسائية و(...) ورسائل حب وتضامن. أكثر ما لفته من التبرعات، قطعة حلوى خُفظت في علبة صغيرة، بدا مرسلها كأنه لا يملك سواها وحريص على ألا تتلف. الناشطة دانيا دندشلي تلقفت نداء البزري. استطاعت جمع آلاف الدولارات استخدمتها لشراء مئات الفرش والحرامات وأواني المطبخ والسترات الشتوية (...). برغم قيمة تلك الدولارات، وجدت دندشلي بأن قيمة الحرامين اللذين أحضرهما عامل سوري على دراجته النارية أثمن بكثير. كان الإصرار كبيراً على إدخال أطنان من المواد التي حرم منها الشعب السوري بسبب الحصار الأرز والسكر. رافق البزري الحافلتين باتجاه الداخل السوري عبر معبر المصنع. في الجانب السوري، كان بانتظارهم وفد من اتحاد الطلبة السوريين الذي سيقودهم نحو بلدات محافظة اللاذقية المنكوبة، في حين أن فريقاً منهم سوف يتوجه إلى حلب.

استمرار جمع التبرّعات

تواصل حملة "وتعاونوا"، جمع التبرّعات العينية لإرسالها إلى سوريا، اليوم وغداً. وقد أعلنت عن الحاجة إلى: حرامات، ثياب للكبار والأطفال، مواد غذائية وحليب أطفال. وطلبت من الراغبين في المساهمة التواصل معها عبر الأرقام التالية: يعلبك والهرمل (512634/70)، الجنوب (304080/71)، بيروت (522697/03)، صور (795839/03). وللمساهمة بمبالغ مالية التواصل على الرقم (826533/70).

كما أعلنت عن حاجتها إلى متطوّعين، أيام السبت والأحد «للمساعدة في توضيب التبرعات العينية قبل إرسالها إلى أهلنا في سوريا، داخل مركز "وتعاونوا" الكائن على طريق المطار قرب مطعم الساحة. للتواصل الرجاء إرسال رسالة صوتية أو نصية على الرقم: 304080/76».

إعاقات تكبّل أصحابها: «اتركونا واهربوا من الزلزال»!

زينب حمّود

تصعب التضحية في لحظات المواجهة الحقيقية مع الموت. من دون وعي، قد تنتصر مقولة: «اللهمّ نفسي» عند وقوع الكوارث، فـ«تنفر بريشك» مخلّفاً وراءك أماً، أباً، شقيقاً، شقيقة، ابناً، ابنة... فماذا لو كنت أسيراً؟ هل سيسمع السجان هزّ القضبان بين يديك ويراف بصوتك مستنجداً، ليمنحك الحياة بينما يسابق هو الموت؟ وماذا لو كان السّجان قدماً عصية على الحركة؟ أو عيناً لا ترى هول ما يحدث ولا تأخذ ببدك إلى برّ الأمان؟ أو صوت يخونك فلا يصرخ: أنا هنا تحت الدمار؟

منذ فجر الإثنين الماضي تهتزّ الأرض تحت أقدام اللبنانيين. وبين هزّات قوية ترعب من يشعر بها، وأخرى ارتدادية تجعل نسيانها أمراً مستحيلاً، يعيش الأشخاص المعوقون، ولا سيما ذوي الإعاقة الحركية، هلعاً مضاعفاً. خوف من أن يعيشوا زلزالاً مماثلاً للزلزال الذي ضرب سوريا وتركيا، خاصة بعدما خضعوا للتجربة بجرعة مخفّفة جداً، وأدركوا أنهم متروكون لعجزهم، مهما صارعوا إعاقتهم سيستسلمون أخيراً للقدر وقضاء الله وكلمة الطبيعة. مثل فلاشات سريعة، يحضر الزلزال أمامهم، مرة يهرب الجميع ويبقون في مكانهم، ومرة يرفض أحدهم تركهم فيتسببون بهلاكه. وكلا المشهدين يزلزل فؤادهم.

نام بالجهاز

كانت الساعة الثالثة و18 دقيقة فجر الإثنين عندما استيقظت فاطمة على اهتزاز السرير في مشهد أعادها إلى الهزّة الأرضية التي حصلت عام 1997، «مسلسل الرعب ثانية، الإحساس ذاته، لكن القلق هذه المرة أكبر لأنه يشمل مصير ابنتين لم تكونا قد ولدتا عام 1997، عندما هرب كلّ من في البناء وبقينا أنا وزوجي مكاننا نتوسل رحمة الله، لأننا نحمل شلل الأطفال الذي يكبّل حركتنا».

لو هُدّم البناء، لا قدر الله، حيث تقطن فاطمة وعائلتها في الشويفات في الطابق الأول، خلال الهزة الأخيرة «لفعلنا الشيء ذاته: لا شيء». تتأسّف فاطمة لأن «الوقت الذي يستغرقه استيعاب الكارثة وارتداء جهاز الحركة ثم الهرب أطول بكثير من الفرصة التي يمنحها الزلزال للنجاة منه». لذلك، نامت وزوجها، خلال اليومين اللذين تليا الهزّة، بالجهاز استعداداً للهرب، و«ما عاد ذلك ممكناً بعدها، لأن الجهاز لم يدعنا ننام، إذ نحتاج إلى قلبه كلما تقلبنا في نومنا، عدا عن حزّ الحديد فيه بجلدنا».

إلى ابنتي: اتركانا واهربا

لا يخاف أمين، زوج فاطمة، على روحه إذا تكرّرت الهزّة بدرجة أعلى. إيمانه أقوى من ضعفه وعجزه. «صحيح أن قدراتي الحركية تبقى عاجزة أمام

> نامت فاطمة وزوجها خلال اليومين اللذين تليا الهزة بجهاز الحركة استعداداً للهرب

انهيار المبنى، لكنني أؤمن أن هذه الأرض لله هو يهزّها وهو يهدّئها، وأنّ الموت حقّ». الهاجس الوحيد الذي يطارده يرتبط بعائلته، زوجته التي «سيسبقها الزمن قبل أن ترتدي الجهاز وتهرب»، وابنتاه (18 و20 عاماً) اللتان «ستبقيان إلى جانبنا وتضحّيان بحياتهما من أجلنا، فنهلك جميعاً». بعد خروجهم من الصدمة نبّه أمين ابنتيه: «مهما حصل اتركانا واهربا». فردّت عليه الكبيرة، «أم أبيها وأم أمها»، كما يلقباها: «معاذ الله، لا أتركك ولو احتجت أن أحملك على ظهري». وقالت الثانية: «إن كنا سنتجو بعدكما، فلنمت معكما».

بقيت في سريري، وحدي، عاجزة

إذا كان هناك من يسأل عن فاطمة وأمين عندما يحتاجان إلى مساعدة، فلا معين لريتا التي تقطن وحدها في منزلها في سن الفيل لأن منزل عائلتها لا يتناسب مع إعاقتها الحركية.

حتى الجيران لم يطرقوا بابها بعدما هدأت الأرض من هزّتها، تماماً كما تركوها في الرابع من آب ولم يكشفوا على منزلها الذي تأثر بانفجار مرفأ بيروت. استعادت ريتا هول الانفجار عندما شعرت باهتزاز السرير فجر الإثنين، وسمعت صوت الحديد يطقطق في البناء المتهالك بعد إصابته في الانفجار ذاته.

وعندما أدركت أن ما يحصل هو هزّة أرضية، «بقيت في سريري، ذلك أن القيام منه يستغرق وقتاً طويلاً فأنا، عدا عن فقداني القدرة على تحريك قدمي، لا أستطيع رفع يدي لذلك أستخدم فمي لممارسة أعمالي». تنقل ريتا كيف قضت 40 ثانية من الرعب والعجز وحدها، «أناجي ربي لعلّه يسمع دعائي، وأصلي، قبل أن أسلّم روحي». عشرات الأسئلة نخرت ذهنها خلال الهزة وما تلاها، خاصة عندما شاهدت الدمار الذي خلفه الزلزال في تركيا وسوريا، «هل سأنجو من الزلزال وأنا بالكاد أستطيع أن أرفع عني الغطاء؟ ولو علقت تحت الدمار، كيف سأتحرك، وأنا عندما أقع أنتظر من ينتشلني؟ وإذا متّ من سيعلم بموتي؟».

لو نزلت إلى الطريق اضيع

«لو أنني أملك حاسة النظر لهرعت إلى الشارع في لحظات الكوارث، واحتميت في مساحات آمنة بعيدة عن الأبنية»، تقول نويل. صحيح أنها تعيش مع العاملة المنزلية التي استقدمتها منذ قرابة الشهر من كينيا، «لكن لا يمكنني الاتكال عليها عندما تقع الواقعة لأنها لا تجيد التصرف في مواقف كهذه». أدركت نويل ذلك بعد الهزة الإثنين الماضي، «كانت العاملة خائفة جداً ولا تفهم هذا الشيء الغريب الذي تعيشه لأول مرة».

ظنّت نويل أنها تتخيل اهتزاز السرير، ذلك أن رؤية الأشياء تهتز من حولها خارج قدرتها، حتى علا صوت خزانة الملابس والثريات المعلقة، ففهمت أنه «زلزال». عاشت الخوف مرتين بعدما سمعت الناس تخلي منازلها، فهرعت لأخذ مفتاح المنزل، قبل أن تعدل عن الفكرة «لإيماني أنه لو نزلت إلى الطريق أضيع وحدي، لا أعرف أي الأماكن آمنة لأحتمي فيها».

البقاع يطلق النداء وعرسال أوّل المبادرين... لولا التسييس

رامح حمية

«الواجب الإنساني والأخلاقي» عنوان تصدّر المبادرات الإنسانية في محافظة بعلبك الهرمل. مراكز التبرّعات بالجملة. افتتحت معظمها على عجل من أجل جمع التبرعات للشعب السوري إثر زلزال الأسبوع الفائت. مبادرات لبنانية فردية، تربوية وحزبية، انطلقت خلال اليومين الماضيين ولم تحل الظروف المعيشية الصعبة وحتى المناخية دون إطلاقها.

في مدرسة دون بوسكو لراهبات السالزيان في حدث بعلبك، حركة نشطة، بعدما أطلقت المدرسة قبل يومين حملة تبرعات بتوزيع رسالة نصية وصلت إلى هواتف أولياء أمور التلامذة. وعلى الرغم من الثلوج الكثيفة وتدنّي درجات الحرارة، لبّى العديد من الأهالي النداء وسارعوا إلى تقديم ما أمكن وما توفر برفقة أبنائهم، بحسب ما تؤكد مديرة المدرسة الأخت سعاد حبيقة لـ«الأخبار». بإشارة إلى أن المبادرة انطلقت «من منطلق الإنسانية وزرع روح التكافل والتضامن بين تلامذتنا وإدخالهم في جوّ التكاتف بين الإنسان وأخيه الإنسان لأنه لا شيء يحول بين الإنسان وأخيه».

جمعية كشافة الإمام المهدي في حزب الله أطلقت أمس عبر أفواج الخدمة المجتمعية حملة تبرعات تحت شعار «رحماء» لجمع المساعدات العينية والمالية وتسليمها إلى الدفاع المدني والهيئة الصحية الإسلامية بغية إدخالها الى سوريا والمناطق المنكوبة فيها لمساعدتها.

وفي الهرمل، بادر معلّمو قضاء الهرمل في المدارس الرسمية والخاصة والمعاهد إلى إطلاق حملة تبرّعات في مركزين في الهرمل والقصر. وبحسب خضر جعفر، المسؤول عن مركز التبرّع في القصر، فقد لبّى الأهالي النداء «وتلقى اتصالات للتبرع من بيروت والبقاع وباقي المناطق اللبنانية، وقد بدأنا مرحلة الفرز والتوضيب تمهيداً لنقلها الى سوريا».

> رغم الثلوج لبّى العديد من الأهالي النداء وسارعوا إلى تقديم ما أمكن وما توفّر

حزب البعث الاشتراكي، من جهته، أطلق حملة تبرعات واسعة في 7 مكاتب في المحافظة بدءاً من بدنايل وبعلبك وعرسال والهرمل ومشاريع القاع والعين وشرقي بعلبك. ويؤكد أمين فرع بعلبك نزيه نون لـ«الأخبار» حصول «تجاوب سريع وكبير وتقديم المساعدات العينية على اختلافها، حيث كنّا قد جهّزنا 5 شاحنات للنقل الخارجي عبر معبر جوسيه باتجاه حلب، إلا أننا عمدنا الى استقدام 3 شاحنات أخرى بالنظر الى الكميات الكبيرة من المساعدات التي من المفترض أن تدخل الأراضي السورية خلال الساعات القليلة المقبلة».

المبادرات الفردية في عرسال كانت السبّاقة، فقد دخلت منذ يومين ثلاث سيارات من نوع بيك أب كبيرة الأراضي السورية عبر الحدود من معبر مطربة باتجاه القصير - حلب وتم تسليمها إلى السلطات السورية وهي محمّلة بالأمصال والأدوية وغيرها من المساعدات العينية بقيمة فاقت 30 ألف دولار. وأمس، انطلقت دعوات للتبرّع في مسجد الحسين بن علي في بلدة عرسال تحت عنوان «البنيان المرصوص» بدعوة من جمعية الاتحاد الإسلامي «لإيصال الأموال الى الشمال السوري». إلا أن الحملة سرعان ما أدّت إلى انقسام حاد داخل البلدة عقب صلاة الجمعة بين «مؤيد ورافض»، بحسب ما يؤكد أحد أبناء عرسال لـ«الأخبار». يوضح ابن عرسال أنّ «حملة التبرعات كانت تسير بشكل طبيعي، وانتهت مرحلتها الأولى أمس بإيصالها إلى الأراضي السورية، على أن تنطلق بالمرحلة الثانية، ليفاجأ أهالي عرسال بحملة البنيان المرصوص» والتي يريد البعض منها "صبغ تبرّعات بلدة عرسال بصبغة المساعدات المقدّمة من قبل هيئة العلماء المسلمين والجماعات الإسلامية، في حين نسعى كعرسال إلى كسر الحاجز مع الدولة السورية وعودتها الى عمقها الاستراتيجي الشام لأن هذا تاريخها».

طرابلس: مبادرة منذ اليوم الأول و«العلماء المسلمين» تشكو فوضى «المعارضة»

عبد الكافي الصمد

لم تكد تمضي ساعات على وقوع الزلزال الذي شهدته تركيا وسوريا فجر الإثنين الفائت، حتى بدأت في طرابلس والشمال حملات لافتة لإغاثة الشعب السوري، سواء من مؤيدي الدولة السورية أو معارضيها، بالرغم من الوضع المعيشي الصعب الذي يعيشه المواطنون.

طلائع هذه المساعدات كانت يوم الثلاثاء الماضي، عندما انطلقت قافلة سيّارات من منطقة جبل محسن في طرابلس وبلدة بلانة الحيصة في عكّار باتجاه الأراضي السورية، محمّلة بالألبسة والمواد الغذائية والأموال التي تبرّع بها أهالي المنطقتين. فمنذ اليوم الأول للزلزال تحوّل مقرّ مركز شبيبة الشيخ صالح العلي في جبل محسن، ومقرّ حزب البعث في المنطقة ذاتها، إلى خلية نحل، في مشهد يتكرّر يومياً، حيث كان متطوعون من مختلف الأعمار يجمعون التبرّعات ومساعدات المواطنين من البسة وأحذية ومواد غذائية وبطانيات وأموال، ويوضبونها في صناديق من الكرتون أو أكياس قبل نقلها إلى سوريا. وأوضح متطوّعون في المركزين لـ«الأخبار» أنّ المساعدات تُنقل بواسطة سيّارات وباصات، وأنّ تنسيقاً يتم مع السلطات السورية فور دخول الأراضي السورية بهدف إيصال المسَاعدات إلى المناطق المنكوبة.

وقبل أن يدعو مفتي طرابلس والشّيخ محمد إمام أمس، في خطبة الجمعة التي ألقاها من على منبر المسجد المنصوري الكبير في المدينة، إلى «التبرّع لأهلنا في سوريا وتركيا»، قبل إقامة صلاة الغائب عن أرواح شهداء الزلزال في البلدين، كانت مؤسسات الكرامة للعمل الخيري في طرابلس، التي تتبع النائب فيصل كرامي، قد أطلقت يوم الأربعاء «حملة دعم للشّعب السوري المنكوب»، داعية «إلى المشاركة في هذه الحملة بما تيسّر».

وفي مخيمي نهر البارد والبداوي للاجئين الفلسطينيين كان الوضع مشابهاً. فيوم الأربعاء الماضي انطلقت من مخيم نهر البارد أوّل قافلة محمّلة بالمساعدات التي جرى جمعها تحت شعار «وحدة الدم والمصير مع أهلنا في سوريا». أمّا في مخيّم البداوي فقد انطلقت أمس الخميس في قاعة النادي الثقافي العربي حملة لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات اللاذقية وجبلة.

وفي حين لزمت الصمت بقية الأحزاب والتيّارات السياسية في طرابلس، وكذلك جمعيات وهيئات المجتمع المدني والخيري التي اعتادت أن تبرز في هذا مناسبات، ولم تقم بأيّ مبادرة لتقديم مساعدات إغاثية إلى المتضرّرين في سوريا، أكثر من إعلانها عن مواقف تضامن عامّة تجاه المتضرّرين في سوريا وتركيا، كان لافتاً أنّ هيئة العلماء المسلمين أعلنت عن مباشرتها حملة جمع تبرعات

> انطلقت من البداوي حملة لمساعدة اللاجئين الفلسطينيين في مخيمات اللاذقية وجبلة

ومساعدات للمتضرّرين في مناطق سيطرة المعارضة تحديداً. مصادر مطلعة في الهيئة كشفت لـ«الأخبار» أنّ رئيس الهيئة الشيخ أحمد العمري «موجود في جنوب تركيا منذ أيّام لهذه الغاية، وأنّه ينسّق مع مفتي المعارضة السّورية الشيخ عبد الكريم الرفاعي من أجل إيصال المساعدات إلى المتضرّرين في مناطق سيطرة المعارضة». لكنّ المصادر أوضحت أنّ «هناك صعوبات في إيصال المساعدات إلى أصحابها في هذه المناطق، أولاً من الجانب التركي الذي باتت لديه حسابات سياسية مختلفة بعد تقاربه مع النّظام السّوري، وثانياً لأنّ مرور مساعدات في الأراضي التركية إلى الأراضي السّورية يواجه صعوبات تقنية وإجراءات معقّدة، ما جعلنا نفضّل أن تكون هذه المساعدات مادية وليست عينية». ومع ذلك فقد أبدت المصادر خشيتها أن «لا تصل هذه المساعدات إلى مستحقّيها بسبب انقسام المعارضة على نفسها في هذه المناطق، وصراعاتها الدّاخلية، وتعدد المرجعيات فيها، وتفشّي مظاهر الفوضى»، لافتة إلى أنّه «كان من الأفضل اغتنام الفرصة وإرسال المساعدات عبر وسيط ثالث، الأمم المتحدة وهيئات الإغاثة الدولية مثلاً». وكشفت المصادر عن «نقاش واسع دار داخل الهيئة في هذا الصدد، حيث رأت بعض الأصوات أنّ التعاون مع النّظام لتقديم المساعدات إلى المتضرّرين أفضل من تقديم المساعدات في مناطق لا وجود للدولة فيها».

على الغلاف

الغرب - سوريا: «الوحوش الباردة» تبدّل حساباتها

وليد شرارة

«الدولة أبرد الوحوش»

فردريك نيتشه، «هكذا تكلم زردشت»

بعد عدة أيام من التجاهل الغربي الكامل للضحايا السوريين بفعل الزلزال المروع الذي ضرب سوريا وتركيا، أصدرت وزارة الخزانة الأميركية ترخيصاً عاماً يسمح بجميع المعاملات المتعلّقة بالإغاثة من الزلزال، والتي كانت محظورة بموجب لوائح العقوبات المفروضة على سوريا، وذلك لمدة 180 يوماً. وعلى الرغم من أن هول الكارثة التي حلّت بالسوريين يحض على الإفادة من أيّ خطوة أو قرار لمواجهة آثارها وتداعياتها، فإن السعي للفهم الدقيق لخلفيات مثل هذه الخطوات والقرارات، يبقى أمراً شديد الأهمية، خاصة في حالة سوريا. فحرب التدمير المنهجية التي تعرّض لها هذا البلد من قبل ائتلاف دولي - إقليمي متعدّد قبل الزلزال الأخير، وما نجم عنها من خسائر عميم، تدفع تلقائياً إلى إمعان النظر في «يقظة الضمير»، المفاجئة، لدى بعض أفرقاء هذا الائتلاف، حيال المأساة السورية الراهنة.

قد يكون من المفيد بدايةً إعادة النظر في بعض المفاهيم التي يكثر استخدامها في السياق الحالي، وفي المقدمة منها مفهوم «المساعدات الإنسانية». فهذا النمط من المساعدات ينطلق تعريفاً من اعتبارات مبدئية وقيمية «إنسانية»، أي منزّهة عن حسابات المصالح وتعظيم النفوذ، ومتحرّراً من الانحيازات والانتقائية التي تُمليها مثل هذه الحسابات. على أنه لا يمكن إدراج المساعدات التي تقدّمها دولة ما لجهة حليفة، إن كانت دولتية أو غير دولتية، في خانة «الإنسانية»، لأنها تأتي ترجمة للتحالف، أو لتقاطع في المصالح، وإن كانت غايتها الإسهام في العون على مواجهة مفاعيل كارثة طبيعية أو خسائر بشرية ومادية متأتية عن نزاع. وحتى عندما تبادر الدول إلى إرسال مساعدات وفرق إغاثة إلى بقعة أخرى من العالم، يرتبط ذلك ببلوماسية المساعدات، وغايتها تعزيز الموقع الدولي للجهة «المساعِدة»، والتأكيد أنها قوة فاعلة لا غنى عنها، وتحسين صورتها وسمعتها و«قوتها الناعمة»، وما يستتبع هذا من زيادة في نفوذها في البقعة المذكورة وعلى الصعيد العالمي.

الدول ليست جمعيات خيرية ولا هيئات إنسانية، خاصة تلك التي يُشنّ ضد شعوب منطقتنا منذ عقود، وبينها الشعب السوري، ولن يتحوّل مهندسو هذه الحرب، بفعل زلزال كارثي، إلى هيئة إغاثة!

استراتيجية خنق سوريا بالعقوبات، وبحرمانها من مواردها الطبيعية، التي يقع جزء رئيس منها في مناطق الشرق السوري الخاضعة لسيطرة ميليشيات «قسد» و«الحليفة» للولايات المتحدة الأميركية، كانت سياسة رسمية لواشنطن في عهد إدارة دونالد ترامب، وهو ما أشرنا إليه في مقال في «الأخبار» بعنوان «وصفة لخراب سوريا» في 1 آذار 2021، وهي لم تتغيّر على أرض الواقع في ظل إدارة جو بايدن. وقد أقرّ جويل رايبورن، المبعوث الأميركي الخاص إلى سوريا أيام ترامب، أمام الكثير من زواره، أن «لا ضير من صوملة هذا البلد»، إن كان ذلك سيفضي إلى كسر هذه الحلقة المركزية في محور المقاومة. ما الذي تغيّر اليوم؟ من البديهي أن واشنطن لا تنظر بعين الرضى إلى شروع الإمارات في تطبيع علاقاتها مع سوريا، وإبداء السعودية في مناسبات عدّة استعدادها لفعل الأمر عينه. وعلى الرغم من أن تلك الأطراف تحرص على التأكيد أن هكذا خطوة ستزيد من قدرتها مستقبلاً على التأثير على الموقف السوري، والسعي لإبعاد دمشق عن طهران قدر المستطاع، لم تقنع حجّتها الطرف الأميركي الذي تدخّل أكثر من مرة لتعطيل عملية التطبيع المشار إليها. ولا شك في أن ما اتّضح من تباعد في السياسات بين دول الخليج والولايات المتحدة، على خلفية الأزمة الأوكرانية، والتطور الكبير في علاقات الأولى مع الصين، والذي فُسّر على أنه مؤشّر إلى اتّساع هامش استقلالية هذه البلدان حيال واشنطن، هو من بين أسباب معارضة واشنطن لانفتاح خليجي على دمشق التابعة للأمم المتحدة، وأيضاً حول دور المنظمات غير الحكومية، المعنية بالشأن الإنساني، ومدى تأثير القوى الغربية على أجندتها وسياساتها، لكن ما يعنينا هنا هو تسليط الضوء على دور الدول بالذات، والمساعدات التي تقدّمها أو تسمح بتوفيرها. فقد أضحى سلاح العقوبات، أي حصار وتجويع شعوب بأسرها إلى درجة حرمانها من ابسط مقوّمات البقاء في بعض الأحيان، أحد أمضى أسلحة الحروب الهجينة الغربية في أوساط نخبها لما تراه مصالح عليا للدولة، غالباً ما تتطابق مع مصالحها الخاصة، واستراتيجيات السيطرة والتحكّم التي تعتمدها تجاه البلدان والشعوب الأخرى. سبق للفيلسوف فردريك نيتشه في كتابه «هكذا تكلم زردشت»، أن اعتبر أن «الدولة أبرد الوحوش»، واستعاد الرئيس الفرنسي، شارل ديغول، المقولة نفسها في حوار شهير مع مساعديه. من الممكن خوض نقاش طويل حول الدور الفعلي الذي تضطلع به الهيئات والوكالات التابعة للأمم المتحدة، وأيضاً حول دور المنظمات غير الحكومية، المعنية بالشأن الإنساني، ومدى تأثير القوى الغربية على أجندتها وسياساتها، لكن ما يعنينا هنا هو أن كلاً من الأمم المتحدة والمنظمات غير الحكومية، المعنية بالشأن الإنساني، ومدى تأثير القوى الغربية على أجندتها وسياساتها، لكن ما يعنينا هنا هو تسليط الضوء على دور الدول بالذات، والمساعدات التي تقدّمها أو تسمح بتوفيرها. فقد أضحى سلاح العقوبات، أي حصار وتجويع شعوب بأسرها إلى درجة حرمانها من ابسط مقوّمات البقاء في بعض الأحيان، أحد أمضى أسلحة الحروب الهجينة الغربية في أوساط نخبها لما تراه مصالح عليا للدولة، غالباً ما تتطابق مع مصالحها الخاصة، واستراتيجيات السيطرة والتحكّم التي تعتمدها تجاه البلدان والشعوب الأخرى. سبق للفيلسوف فردريك نيتشه في كتابه «هكذا تكلم زردشت»، أن اعتبر أن «الدولة أبرد الوحوش»، واستعاد الرئيس الفرنسي، شارل ديغول، المقولة نفسها في حوار شهير مع مساعديه. من الممكن خوض نقاش طويل حول الدور الفعلي الذي تضطلع به الهيئات والوكالات التابعة للأمم المتحدة، وأيضاً حول دور المنظمات غير الحكومية، المعنية بالشأن الإنساني، ومدى تأثير القوى الغربية على أجندتها وسياساتها، لكن ما يعنينا هنا هو تسليط الضوء على دور الدول بالذات، والمساعدات التي تقدّمها أو تسمح بتوفيرها، فقد أضحى سلاح العقوبات، أي حصار وتجويع شعوب بأسرها إلى درجة حرمانها من ابسط مقوّمات البقاء في بعض الأحيان، أحد أمضى أسلحة الحروب الهجينة الغربية

(أ ف ب)

> أضحى سلاح العقوبات أحد أمضى أسلحة الحروب الهجينة الغربية

كانت حتى زمن ليس ببعيد مركزاً إمبراطورياً للعالم، نشرت في أنحاء جنوبه الموت والدمار وتحكّمت بمصائر شعوبه وثرواتها لقرون طويلة. دول المركز الإمبريالي الغربي، قبل غيرها، «وحوش باردة» لا ضمير لها، يحرّكها المفهوم السائد يستند أساساً إلى أجندة خاصة لا إلى الأجندة الأميركية.

الكارثة الإنسانية قد تكون عامل تسريع لعملية الانفتاح المذكورة، وقد تشجّع أطرافاً إقليمية ودولية أخرى على اتخاذ قرارات مماثلة. فقد كشفت معلومات جرى تسريبها إلى وسائل الإعلام الفرنسية أن هناك جهوداً إماراتية لحمل باريس على تطبيع تدريجي مع سوريا. صحيح أن وزيرة الخارجية الفرنسية، كاترين كولونا، ساقت في مقابلة مع «الشرق الأوسط»، أياماً قبل الزلزال، سلسلة اتهامات لسوريا ورفضت أي تطبيع معها، إلا أن مقالاً للصحافي جورج مالبرونو في «لوفيغارو»، أفاد منذ يومين بأن مثل هذا النقاش يدور في أوساط الرئاسة الفرنسية، وأن البعض يرى ضرورة المباشرة في حوار مع دمشق حتى لا تبقى باريس خارج مسار يتسارع في المنطقة. في كل الأحوال، وبمعزل عما إن كانت دول غربية ستتجرّأ على عدم الالتزام بالإملاءات الأميركية، فإن تطبيعاً عربياً مع سوريا، في الظروف الراهنة، سيعزّز من موقفها، ويخفّف من وطأة الحرب الاقتصادية التي تخاض ضدها، من دون أن تقدّم من جهتها أي تنازل بالنسبة إلى دورها في الإقليم وثوابتها المعروفة. في مثل ذلك السياق، يأتي قرار وزارة الخزانة الأميركية كتكتيك يهدف إلى عرقلة مساعي التطبيع، عبر محاولة التمييز بين المساعدات المقدّمة لمواجهة حالة الطوارئ الراهنة التي تعاني منها سوريا ومثل هذه المساعي. «الوحش البارد» الأميركي يلجأ إلى مناورة مكشوفة للمضيّ في حربه ضد سوريا، ومن يريد الوقوف إلى جانب شعبها عليه القطع الكامل مع سياسات التنكيل به التي اتُّبعت في مرحلة سابقة، وفتح صفحة جديدة في علاقاته معها.

أميركا تخرج «استثناءاتها»: سوريا وطناً لـ«الإعاشة»

فراس الشوفي

لم يكن قرار الولايات المتحدة الأميركية، صباح أمس، تجميد «بعض» مواد العقوبات أحادية الجانب، المفروضة على سوريا لـ 180 يوماً، سوى حيلة جديدة من حيل الأميركيين وسياساتهم الموارِبة «الناجحة» في الهيمنة على العالم. لكن خطوة الخزانة الأميركية هذه تحديداً، بدت محاولة للتملّص من الضغوط الإعلامية التي طوقت الدور الأميركي في عرقلة إغاثة الشعب السوري المنكوب في زلزال فجر الاثنين الماضي.

فمنذ فضيحة الجيش الأميركي في تعذيب المعتقلين داخل جدران أبو غريب العراقي ومعتقل غوانتنامو، لم يُصبْ الأميركيون بهذا العري الأخلاقي أمام شعوب العالم كما أصيبوا خلال الأيام المنصرمة.

الصرخات الشعبية والرسمية ومن هيئات أممية لرفع الحصار عن سوريا، وهول المشاهد التي نقلت جزءاً قليلاً من واقع الكارثة على الأرض، كانت أعلى من البروباغندا الأميركية ومن وسائل الإعلام القطرية وبعض الغربية، التي حاولت التعمية على حقيقة تأثير العقوبات الأميركية/ الغربية على ذلك البلد. لعل الجراة التي تحلّت بها بعض الدول العربية الخاضعة للقلق الأميركي، والحالة الشعبية في العالمين العربي والإسلامي وفي أوساط الجاليات السورية والعربية في الدول الغربية، نبّهت الأميركيين إلى أنه لن يكون لديهم القدرة والذرائع الكافية على إيقاف كرة التضامن العالمي المعنوي - على الأقل - مع سوريا، وإلى أن سيف العقوبات المصلت على رقاب الكوكب، قد ينكسر أمام الرأي العام العالمي، فيشكل النموذج السوري مدخلاً لكسارة الولايات المتّحدة أكثر أدواتها فعالية في إخضاع الشعوب.

الارتباك الذي سبق القرار ظهر بوضوح خلال الأيام الماضية، في محاولات المسؤولين الأميركيين التملّص من حصار سوريا، ولا سيّما ظهور الناطق باسم الخارجية الأميركية في الشرق الأوسط على الإعلام العربي، وتحدثه بالعربية من أجل تلميع الموقف الأميركي، بعدما كان وجود المنصب والشخص مجهولاً بحدّ ذاته للكثيرين. في الشكل، بدا إصدار القرار اعترافاً سياسياً وحسيّاً جديداً بدور الولايات المتحدة في حصار الشعب السوري والدولة السورية بذريعة محاسبة «النظام»، مع مسؤولية أميركا عن هذه السياسة الكارثية على مستقبل الدولة والمجتمع والوطن. أمّا في المضمون، فإن أخطر ما يكون هو تقديم القرار كخطوة حقيقية في إطار رفع العقوبات التي تطال الدولة بكلّ مؤسساتها، وتحاصر قطاعات الطاقة والنقد والمواد الصلبة والتكنولوجيا، وبدرجة أقلّ، ظاهراً، قطاعات الدواء والغذاء والتعليم.

> لا يغيّر قرار الخزانة الأميركية قرار الخزانة الأميركية أمس لا يصلح إلّا لإغراق سوريا بصناديق «الإعاشة»

الكثير على أرض الواقع. فهو، في مادته الأولى يشير إلى استثناء ما يسمّيه «تعاملات جهود الإغاثة من الزلزال التي تطالها قرارات العقوبات على سوريا»، من دون أن يحدّد ماهية هذه التعاملات، ليعود ويشير في الجزء الأخير إلى أن الاستثناء لا يشمل الجهات الخاضعة للعقوبات الأميركية، ولا سيّما الحكومة السورية ومؤسساتها، ما يبقي الشركات والجهات المختلفة في حالة من القلق لناحية التعامل مع الجهات السورية، خشية المزاجية الأميركية في تحديد التعاملات، كما الخشية من اتخاذ إجراءات في السنوات المقبلة بذريعة التعامل مع دمشق.

أزمة سوريا قبل الزلزال وبعده، لا يمكن اختصارها بعمليّات إنقاذ قصيرة المدى لضحايا الكارثة وتقديم سلل الغذاء والدواء والبطانيات، أو حتّى إعادة إعمار وترميم ما تهدّم في هذه الواقعة الطبيعية تحديداً، لأن القيام بهذا الدور وحسب، يتطلّب في أدنى مستوياته مقوّمات دولة تتوفّر فيها الطاقة والوقود والآليات والفرق المجهّزة بشريّاً ومادياً.

في تشرين الثاني الماضي، وثّق تقرير المقرّرة الخاصة للأمم المتحدة حول تأثير العقوبات أحادية الجانب على سوريا، النتائج الكارثية على الشعب السوري، ليتوصل في خلاصته إلى أن هذا البلد يموت بسرعة. كيف يمكن أن تحصل عمليّات الإنقاذ ورفع الأنقاض إن كانت سوريا تفتقر إلى المعدات الثقيلة؟ فالعدد الكبير من المعدات التي كانت تملكها قبل الحرب انخفض حتى النصف، ولم تتمكن الحكومة أو القطاع الخاص من شراء أخرى جديدة بسبب الحصار وفقدان الأموال الكافية، ولا تدفع ثمنه؟ هذا إن وجد أصلاً. أمّا شركات التأمين، فإنها تصعّب من مهام شركات الطيران العالمية وسفن الشحن والركاب، إذ إنها لا تغطي الطائرات أو السفن في حال تعاملها مع دمشق. أمّا في حال الحديث عن عمليات إعادة الإعمار، على الأقل للأبنية التي تهدّمت خلال الزلزال، فإن القيود والعقوبات المفروضة على مواد البناء تجعل الأمر شاقّاً للأفراد والمؤسسات والحكومة، فضلاً عن القدرات المادية المحدودة في ظلّ تراجع العملة السورية أمام الدولار وانكماش الاقتصاد السوري إلى مستويات غير مسبوقة.

كلّ هذا لا يضاهي تأثير العقوبات الأميركية على قطاع الطاقة، المستثنى أصلاً من «الاستثناء» الأخير.

التجارب الأميركية في فرض العقوبات على الدول التي لا تخضع لإرادة واشنطن السياسية، والشعوب التي تملك الموارد وتتمرّد على الهيمنة الأميركية وأدواتها، أكسبت الأميركيين خبرة في خنق الاقتصادات وتحطيم الدول عبر فرض الحظر على قطاعات وسلع معيّنة، تعيق حركةً اقتصادية باكملها وتعطّل منشات ومشاريع لمجرّد حظر بعض مكوناتها. ألا تحتاج أعمال الإنقاذ والسوريون بشكل عام إلى الكهرباء مثلاً؟ فبعيداً عن محطات الكهرباء التي أصيبت خلال الحرب بأضرار كبيرة أو دمّرت بالكامل ولا يمكن ترميمها، هناك الطائرات أو السفن في حال تعاملها مع دمشق. أمّا في حال الحديث عن عمليات إعادة الإعمار، على الأقل للأبنية التي تهدّمت خلال الزلزال، فإن القيود والعقوبات المفروضة على مواد البناء تجعل الأمر شاقّاً للأفراد والمؤسسات والحكومة، فضلاً عن القدرات المادية المحدودة في ظلّ تراجع العملة السورية أمام الدولار وانكماش الاقتصاد السوري إلى مستويات غير مسبوقة.

كلّ هذا لا يضاهي تأثير العقوبات الأميركية على قطاع الطاقة، المستثنى أصلاً من «الاستثناء» الأخير.

التجارب الأميركية في فرض العقوبات على الدول التي لا تخضع لإرادة واشنطن السياسية، والشعوب التي تملك الموارد وتتمرّد على الهيمنة الأميركية وأدواتها، أكسبت الأميركيين خبرة في خنق الاقتصادات وتحطيم الدول عبر فرض الحظر على قطاعات وسلع معيّنة، تعيق حركةً اقتصادية باكملها وتعطّل منشات ومشاريع لمجرّد حظر بعض مكوناتها. ألا تحتاج أعمال الإنقاذ والسوريون بشكل عام إلى الكهرباء مثلاً؟ فبعيداً عن محطات الكهرباء التي أصيبت خلال الحرب بأضرار كبيرة أو دمّرت بالكامل ولا يمكن ترميمها، هناك الطائرات أو السفن في حال تعاملها مع دمشق. أمّا في حال الحديث عن عمليات إعادة الإعمار، على الأقل للأبنية التي تهدّمت خلال الزلزال، فإن القيود والعقوبات المفروضة على مواد البناء تجعل الأمر شاقّاً للأفراد والمؤسسات والحكومة، فضلاً عن القدرات المادية المحدودة في ظلّ تراجع العملة السورية أمام الدولار وانكماش الاقتصاد السوري إلى مستويات غير مسبوقة.

كلّ هذا لا يضاهي تأثير العقوبات الأميركية على قطاع الطاقة، المستثنى أصلاً من «الاستثناء» الأخير.

التجارب الأميركية في فرض العقوبات على الدول التي لا تخضع لإرادة واشنطن السياسية، والشعوب التي تملك الموارد وتتمرّد على الهيمنة الأميركية وأدواتها، أكسبت الأميركيين خبرة في خنق الاقتصادات وتحطيم الدول عبر فرض الحظر على قطاعات وسلع معيّنة، تعيق حركةً اقتصادية باكملها وتعطّل منشات ومشاريع لمجرّد حظر بعض مكوناتها. ألا تحتاج أعمال الإنقاذ والسوريون بشكل عام إلى الكهرباء مثلاً؟ فبعيداً

مقالة

... عن لحظة موت زائفة

«ومن نكون نحن في هذه الدنيا شديدة الاعوجاج، إلّا كحرف الألف؟ وماذا تملك الألف في الأصل؟ هباءً منثوراً؟»

جلال الدين الرومي

دعاء سويدان

عندما سئل إرنستو ساباتو: «كيف تودّ أن تموت؟»، أجاب: «واعياً لذاتي، لا خُدَر ولا عمليات فظيعة، كما أنا». وليس ككومة قمامة مغفّلة مخدَّرة». نسي أن يضيف ربّما: وليس أيضاً مطموراً تحت جبل من الركام، أو عالقاً وسط نيران تأكل أوصالي، أو ناشباً بدوّامة مياه تقذف بي إلى حتفي، أو ممسوكاً من تلابيبي بسحابة غاز خانق تكتم أنفاسي، أو، أو، أو... والقائمة تكاد لا تنتهي. هي إذاً لعبة نتحايل بها على الموت، مرتّبين أسبابه من الأقلّ قسوة إلى الأشدّ، متمنّين أن يكون نصيبنا من تلك الأقلّ. مُوارين بذلك خشيتنا منه في مطلق الأحوال، نحن الذين نستحمق أمامه أنّى بلغناه، طالبين منه في كلّ مرّة أن يعيد تعريف نفسه، وكأنّنا لم نكن نركض نحوه.

على أن مِيتة عن ميتة تَفرق بالفعل. تدلّ على هذا، مثلاً، حساسياتنا المتفاوتة إزاء حالات الموت وهيئاته، على رغم أنّ «من النادر - في الحالات كلّها - أن يُسلّم المرء بألم غيره»، وفق ما يحاجج به إيفان كارامازوف (في «الإخوة كارامازوف»). لكن تلك الندرة، إذا ما صحّت، يبدو محتوماً انطباقها على الحالة الملخَّصة بأن «الموت أنّ ترى الموت» (محمود درويش)، وهو ما جرى بالفعل لكثيرين ممّا لحظة الفاجعة التي لَمّت بجيراننا في شرق التوسّط، والتي لا يزال شعور بالمرارة يجتاحنا إزاءها، ولا تفتأ غصّة تستحكم بأفئدتنا بفعلها، فيما يُمضي ألم مُضن في إحكام قبضته على صدورنا مذّاها. ذلك أنّنا نحن، الواقعون على مسافة معتدلة من مركز الهلاك، قاربنا المصير نفسه من دون أن نلتحم به، بعدما اكتفى «الزلزال العظيم» برمينا بشرارات لم تكن كافية لإبادتنا، وإنْ فعلت، على ضآلتها قياساً إلى الهول الذي حلّ بالسوريين والأتراك قليلي الحظّ، فعلها الكبير في نفوسنا.

حتى لو تدرّبْتَ على ألّا ترتاد دروب الحياة غافلاً مختالاً فرحاً، مقنعاً ذاتك بأنّنا «كلّنا نسير تحت خيمة الله» كما تقول الحكمة الشعبية الروسية، وبأن ما أنت فيه مجرّد وهم أو منام طويل لا تستدعي حتميّة الاستيقاظ منه يوماً ما كلّ هذه الرهبة، لكن اللحظة التي تقع فيها الواقعة تظلّ دائماً مشوَّشة وعصيّة على الفهم وصعبة الابتلاع، فكيف إذا كانت لحظة زائفة تشابه الجمام ولا تُطابقه، وإنْ بدت أقرب إلى «بروفة» حيّة لقول الإمام علي بن أبي طالب: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا». ذلك تماماً هو ما عايشناه فجر السادس من شباط، عندما اهتزّت بنا أسرّتنا كأرض سكنها الجنّ، وانتفضت أفئدتنا كطواويس بيضاء تُساق إلى الذبح، وارتجفت أشياؤنا كأغصان رثّ تجمّعت أرواحها غرغرة في الحلوق.

عنذاك، طاشت ألبابنا، ولم نقوَ سوى على أن نتكوّم فوق بعضنا البعض، مستحضرين كلّ ما رسخ في قلوبنا من آيات وأدعية ورُقيات. «إن الذي فرض عليك القرآن لرادّك إلى معاد»؛ يأتي الصوت من أعماقنا محاولاً تسكيننا، قبل أن تُعاود بيوتنا الرقص كأفاعٍ مسّها الجنون، دافعةً إيّانا إلى الهيَمان على وجوهنا مثل المَخبولين. هل يحقّ لنا ذلك؟ ولِمْ لا؟ ألسنا «هذا الخليط من الدماء والعظام والدماغ واللحم والمُخاط والمنيّ والعرق والدموع والبراز»؟ ألسنا «هذا الجسد المحكوم بالحسد والكراهية والكذب والخوف والألم والجوع والعطش والمرض والشيخوخة والموت»؟، كما يصفنا نيكوس كازانتزاكيس.

ربّما نعم، غير أن المرء ليخجل من نفسه حقاً وهو يعاين لاحقاً فظاعة ما أصاب الآخرين من أرواء ونكبات. فظاعةً تستحضر إلى رأسه جَمّة أسئلة وتهويمات ووساوس، تبدأ من «هندسة الألم» في هذا الكون، ولا تنتهي بموعد اختتام هذه «المهزلة الإنسانية» التي ملأت قلوبنا أحزاناً عميقة وحفرت في أرواحنا ثقوباً لا قرار لها. إلّا أن صوت النفري ينطّ سريعاً إلى الذهن منبّهاً: إنها «نفسك تبتغي العلم لتنفصل به عن عزيمتي، ولِتجري بهواها في طرقاته، أن العلم ذو طرقات، وإن الطرقات ذوات فِجاج، وإن الفِجاج ذوات مخارج ومَحاج، وإن المَحاج ذوات اختلاف». لكن يا مولانا، كيف نمنع عقولنا من الدوران؟ كيف نستطيع نفيها أو صرفها؟ كيف نقدر على أن نمضي ولا نعقّب حتى «نكون منك وتكون منّا»؟ كيف لا نطلب علم قضائك ولو كان في طلبنا انفصال عن عزيمتك؟

«يا عبد، معرفتك بالبلاء بلاء، وإنكارك للبلاء بلاء»... يا عبد مأواك رضاك، فانظر ماذا رضيت»، يجيب النفري، فيما يطلّ كازانتزاكيس قائلاً: «عليك أن تنجو من البساطة الفجّة للعقل الذي ينظّم ويأمل في السيطرة على الظواهر، عليك أن تنجو من البشرية، ينفثون في صدره، بينما هو مردوم تحت التراب، «جكمتهم» الكريهة العابرة للأزمان: «كلّ شيء لأنفسنا ولا شيء للآخرين»؟ ماذا عمّن تحوّل مصرعه إلى أداة تحاقُر سياسي لدى جميع أولئك الذين لا يفتأون يعصرون أفئدتهم في أوانٍ من الكراهية، ويُدينونها من مَراشف العالم قائلين: «هذا هو الحقد فاشربوا»؟

لن يكون للملكومين إلّا الأمل بعالم لا يتّسع إلّا لأفراحهم، وما الذي يمنع الأمل؟ أليس عطش الأرض علامة المطر؟ أليست بليلة الليل برهان الغاسق؟ أليس اضطراب الأيْك دليل الشمس؟ فلمْ لا تكون قلوب هؤلاء المقرورة سبيلاً إلى النجاة؟

أمّا نحن، الذين لا نزال عالقين بهذا العالم، فليس لدينا إلّا الغوص في أعماقنا، حيث «لا يوجد غير الماء، نعود إلى الماء ونبكي، نولد من الماء، ونذهب إلى الماء، وحين يجفّ ماؤنا نموت»، كما يقول المتصوّفة. هكذا نحن، الدموع سريرنا، كما «البحر سرير الأرض».

على الغلاف

دائرة الانفتاح العربي تتوسّع دمشق - إدلب: بداية ثقب في «الجدار»

(أ ف ب)

علاء حلبي

على نحو بدا مستعجلاً، بعد أن ضرب زلزال مدمّر تركيا وسوريا، وأدّى إلى دمار واسع في أربع محافظات سورية أعلنها مجلس الوزراء «منكوبة» (حلب، إدلب، حماة واللاذقية)، قرّر الرئيس التونسي، قيس سعيد، رفع تمثيل بلاده الدبلوماسي في دمشق، في خطوة أولى ضمن سلسلة خطوات تهدف إلى تطبيع العلاقات مع دمشق. وأشاد سعيد، الذي أعلن عن هذه الخطوة أثناء استقباله نبيل عمّار الذي عيّنه في منصب وزير خارجية جديد للبلاد، خلفاً لسلفه عثمان الجرندي، بإصرار دمشق على رفض التدخل الخارجي، عادّاً «قضية النظام السوري شأناً داخلياً يهمّ السوريين بمفردهم»، مذكّراً بـ«عديد المحطّات التاريخية التي عاشتها سوريا منذ بداية القرن العشرين والترتيبات التي حصلت منذ ذلك الوقت لتقسيمها».

وجاء قرار تونس الأخير بعد نحو ستّ سنوات على إعادتها تمثيلاً دبلوماسياً محدوداً مع دمشق عام 2017، إثر تغييرات سياسية داخلية تونسية، أطاحت نظام حركة «النهضة» المرتبطة بجماعة «الإخوان المسلمين» والتي قطعت العلاقات مع دمشق عام 2012. وعبّرت تونس، إلى التأنّي في خطواتها، خصوصاً أن الولايات المتحدة أعادت تنشيط حراكها السياسي والميداني في سوريا، وصعّدت خلال الشهور القليلة الماضية من حملتها ضدّ الحكومة. والجدير ذكره، هنا، أن دمشق أشارت سابقاً، في مرّات عديدة، إلى أنها تتفهّم مواقف بعض العواصم التي تتواصل معها بشكل غير علني.

> لا يمكن الحديث عن خطوة حقيقية من قبل الرياض نحو دمشق في الوقت الحالي

أمّا السعودية، التي التفّت على الحظر الأميركي عبر تكليف منظّمات بجمع تبرّعات وإرسال مساعدات إلى سوريا، فلا يمكن الحديث عن خطوة حقيقية من قِبَلها نحو دمشق في الوقت الحالي، خصوصاً في ظلّ إبقائها ملفّ الحجّ بيد «الائتلاف» المعارض، ما يعني أن أولى الخطوات التي يمكن أن يُبنى عليها تطبيع حقيقي بين البلدين تبدأ بهذا الملفّ، علماً أن ثمّة تحرّكات روسية وإماراتية متواصلة لإعادة تطبيع العلاقات السورية - السعودية، لِما لها من تأثير كبير على الساحة السورية بشكل خاص، وفي المنطقة بشكل عام. في هذا الوقت، وبينما كانت تركيا تغلق أبوابها في وجه المساعدات المرسلة إلى إدلب بحجّة عدم سلامة معبر باب الهوى، الوحيد الذي يمكن لمنظمات الأمم المتحدة إدخال مساعدات عبره إلى الشمال الغربي الخاضع لسيطرة «هيئة تحرير الشام» (جبهة النصرة)، سارعت دمشق إلى بحث إمكانية إرسال المساعدات عبر الخطوط، الأمر الذي تولّت الإمارات الوساطة لتحقيقه. وجهّزت الحكومة السورية، على مدار الأيام الثلاثة الماضية، قافلة مساعدات إغاثية إلى المنكوبين في إدلب، في حين تولّت أبو ظبي إجراء اتصالات لفتح الباب أمام هذه المساعدات، وضمان وصولها إلى المواطنين السوريين، ومنع تحكّم «تحرير الشام» بها، وهو ما أسفر في النهاية عن فتح معبر سراقب لإدخالها يوم غد السبت.

وبالتوازي مع تحرّكاتها لإغاثة إدلب، التي أعلنتها دمشق مدينة منكوبة إلى جانب كلّ من حلب وحماة واللاذقية، أعادت دمشق التذكير برفضها تسييس الملفّ الإنساني، ومحاولة بعض الأطراف الدولية استثمار الكارثة لفرض واقع معيّن، وتقديم دعم لمناطق على حساب أخرى، وهو ما عبّر عنه بشكل مباشر وزير الخارجية السوري، فيصل المقداد، خلال لقاء تلفزيوني. إلّا أنه لم تكد تعلن الحكومة السورية نجاح الجهد الإماراتي في فتح معبر سراقب، حتى علت بعض الأصوات التي تخشى من خسارة «ورقة المساعدات» تنديداً بهذه الخطوة، في وقت سارعت فيه الأمم المتحدة إلى بدء إدخال مساعداتها إلى إدلب، عبر «باب الهوى»، علماً أن القافلة التي تمّ إدخالها من هناك كانت مجدولة قبل وقوع الكارثة، وهي جزء من المساعدات الأممية التي يتمّ تمريرها عبر هذا المعبر وفق قرار مجلس الأمن 2642، الذي تمّ تجديده لستة أشهر إضافية مطلع العام الحالي، والذي ينصّ أيضاً على إدخال مساعدات عبر الخطوط (تحت إشراف دمشق).

في هذا السياق، تتوقّع مصادر مطّلعة، في حديث إلى «الأخبار»، زيادة وتيرة المساعدات عبر الخطوط من دمشق إلى المتضرّرين في إدلب خلال الفترة المقبلة، خصوصاً أن الكارثة تتطلّب، إلى جانب المساعدات الإغاثية العاجلة، عملاً كبيراً يؤمّن للمتضررين مساعدات دورية، ضمن جهود واسعة تشمل المدن المنكوبة الأربع. وإذ سيَلقى ذلك التوجّه محاولات مقاومة من بعض الأطراف التي تحاول الاستمرار في استثمار الملفّ الإنساني، غير أن حجم الكارثة سيفوق قدرة تلك الأطراف على المقاومة، الأمر الذي يعني تثبيت قنوات تواصل داخلية تصل الشمال الغربي من سوريا ببقيّة المناطق والمدن السورية، ويفتح الباب أمام كسر الخطوط الوهمية التي رسمتها الحرب لمناطق السيطرة.

لا طائرات خليجية في سوريا «الذاتية» تتحرّك... «رفعَ عتب»

الحسكة - ايهم مرعي

بعد يوم واحد من إصدار السفارة الأميركية في دمشق، بياناً قالت فيه إن «كلّ المناطق السورية مؤهّلة لتلقّي المساعدات الأميركية بناءً على تقييم الاحتياجات»، مؤكّدة «وجود العديد من العقبات التي يجب التغلّب عليها، خاصة بعد الزلزال، وسياستنا لفرض العقوبات على سوريا ليست من بينها»، أصدرت الولايات المتحدة، أمس، قراراً برفع الحظر جزئياً عن سوريا. وأوضح مكتب مراقبة الأصول الأجنبية في وزارة الخزانة الأميركية أنه أصدر ترخيصاً باسم «GL 23»، يسمح بموجبه لمدّة 180 يوماً بـ«جميع التعاملات المتعلّقة بالإغاثة من الزلزال»، والتي كانت محظورة بفعل العقوبات. وبعدما نأى الأميركيون بأنفسهم عن دعم المتضرّرين في سوريا، حتى اعتمدوا تجنّب الحديث عن الكارثة في شقّها السوري، والتركيز عليها في تركيا، يبدو أن التوجّه الجديد لديهم يتمثّل في إغاثة المناطق المتضرّرة شمال غرب البلاد، الخاضعة لسيطرة المعارضة المسلحة، عبر المشاركة في دعم المنظّمات الدولية وجمعيات المجتمع المدني، العاملة هناك، فيما قد تكون للولايات المتحدة مساهمة في قوافل المساعدات التي تعتزم الأمم المتحدة تسييرها إلى الشمال الغربي من سوريا، عبر معبر باب الهوى الحدودي مع تركيا. أمّا الموقف العربي الخليجي فلا يزال، إلى الآن، متردداً حيال تدشين جسر جوّي إلى دمشق، لدعم جهود الإنقاذ، إذ أكدت مصادر من «إدارة الطيران المدني» لـ«الأخبار» «عدم تلقّي أي طلب سعودي أو قطري، ولا حتى كويتي، حتى الآن (مساء أمس)، لهبوط طائرات تابعة لهذه الدول، في المطارات الرسمية السورية».

من جهتها، امتنعت «الإدارة الذاتية» عن توجيه أيّ قوافل مساعدات أو محروقات إلى مناطق سيطرة الحكومة السورية، في مقابل توجيهها قافلة تضم عدداً من صهاريج المحروقات والمواد الإغاثية والطبّية إلى مناطق سيطرة المعارضة، بعد ساعات من وقوع الزلزال، من دون الحصول على موافقة الفصائل المسلحة على إدخالها. وفي هذا السياق، أعلن الرئيس التنفيذي لـ«الذاتية»، عبد حامد مهباش، أمس، أن «الإدارة حاولت التواصل مع الجهات والكيانات السياسية في شمال غرب سوريا، ومع الحكومة السورية، عبر قنوات التواصل، إلا أننا ولهذه اللحظة لم يأتنا أي ردّ رسمي بقبول مساعداتنا». وأشار المهباش إلى «وجود قافلة مساعدات على معبر أم جلود في ريف منبج، لإهلنا في شمال غرب سوريا، ولم يأتنا أيّ ردّ بقبولها»، لافتاً إلى «وجود قافلة إنسانية أخرى قيد التجهيز لتقديمها للداخل السوري ليتمّ استهلاكها من قبل الآليات التي تعمل على انتشال الضحايا والمفقودين من تحت الأنقاض». ويبدو أن «الذاتية» تحاول تبرير موقفها في تأخير تقديم أي مساعدة لأهالي المناطق الخاضعة لسيطرة الحكومة السورية، من خلال رمي المسؤولية على الأخيرة بعدم الردّ على رسائلها. وهنا، تؤكد مصادر مقرّبة من الحكومة في محافظة الحسكة، لـ«الأخبار»، أنه «لم تصل أيّ قافلة من مناطق سيطرة الإدارة الذاتية إلى المعابر المحلية سواء في دير الزور أو الرقة السورية، عبر قنوات التواصل، إلا أننا حتى الآن»، مضيفةً أن «الحكومة السورية لن تقف عائقاً بالتأكيد أمام أي سوري يرغب في تقديم المساعدة والمؤازرة في كارثة الزلزال المدمر الذي ضرب البلاد في أي مكان داخل البلاد أو خارجها».

وفي المقابل، تتوسّع مع مرور 5 أيام على كارثة الزلزال، لائحة الدول التي استجابت للنداءات التي أطلقتها الخارجية السورية و«الهلال الأحمر السوري»، مع استمرار وصول الطائرات المحمّلة بالمساعدات والمواد الإغاثية إلى المطارات العاملة في البلاد. ووصل عدد الدول التي أرسلت مساعدات إغاثية، عبر المعابر الحدودية البرّية، أو عبر مطارات دمشق وحلب واللاذقية، إلى 17 دولة، هي: إيران وروسيا والصين وفلسطين والعراق ولبنان والجزائر وتونس وليبيا وعمان والإمارات ومصر وفنزويلا وأرمينيا والهند وباكستان والأردن.

جسر سعودي بالاسم... والدوحة «تنسى» السوريين

«فالق» خليجي يحجب المساعدات

دخلت المساعدات الخليجية لضحايا الزلزال في تركيا وسوريا بازار السياسة، باعتبار أن لكلّ من دول الخليج التي ساهمت ينسب متفاوتة في حفلة التدمير خلال الحرب، حساسياتها الخاصة في التعامل مع هذا البلد. ويُضاف إلى تلك الحساسيات، تنافس بيني خليجي ظهرت معالمه في الاستجابة للحدث نفسه، ما أدّى إلى خلل كبير في توزيع المعونات. استفادت منه تركيا التي يسعى رئيسها رجب طيب أردوغان، إلى مواجهة انتقادات المعارضة لبطء تعامُل حكومته مع الكارثة، من خلال احتكار المساعدات لبلاده على حساب الجانب السوري. ولا سيما أنه يواجه انتخابات رئاسية صعبة في أيار المقبل

حسين إبراهيم

لم يكن ممكناً للتفاعل الخليجي مع الزلزال التركي - السوري أن يكون أسوأ ممّا كان عليه، في الجانب السوري، حيث أربكت السياسة مسار المساعدات الخليجية، ما جعلها تتوجّه إلى تركيا التي يبدو أنها احتكرتْها لنفسها، ولم تسمح بانتقال شيء منها إلى الشمال السوري المنكوب. ولعلّ مردّ ذلك إلى أسباب داخلية تركية تتعلّق خصوصاً بالانتخابات الرئاسية المقرّرة في أيار المقبل، ولا سيما أن المعالجة الحكومية هناك لتداعيات الكارثة تعرّضت لانتقادات من قِبَل المعارضة بسبب بطئها. في ردّة الفعل الأولى على الزلزال، بدا الصمت الخليجي مخجلاً، إلّا أنه مع تكشُّف هول الكارثة والضغط الشعبي المكتوم، ما عادت السلطات في دول الخليج قادرة على السكوت، وهي المطالَبة من شعوبها بالاستجابة بفعل الوفرة المالية التي تتمتّع بها، فانتقلت إلى مرحلة تقديم المساعدات وإنّما مع الاستثمار السياسي لما حدث.

لكن بسبب حساسية سوريا بالنسبة إلى دول الخليج، ظلّ هذا البلد، بعد خمسة أيام على الزلزال، شبه محروم من المساعدات. ونتيجة لذلك، لم تُتَح أيّ فرصة لإنقاذ العالقين تحت الردم في المناطق التي تسيطر عليها المعارضة السورية، ما دفع القائمين على عمليات الإنقاذ في تلك المناطق إلى انتقاد لا عدالة توزيع المساعدات والمعدّات الضرورية للإنقاذ بين تركيا وسوريا، في حين أن المناطق المنكوبة الواقعة تحت سيطرة حكومة دمشق لم تستفد سوى من مساعدات إيرانية وروسية شملت استخدام معدّات ثقيلة لرفع الأنقاض، وبعض الإماراتية واللبنانية التي خُرقت بالفعل جدار العقوبات على دمشق، قبل أن تُعلّق الولايات المتحدة تطبيق بعض العقوبات لمدّة ستّة أشهر. أمّا الجسر الجوّي السعودي الذي أقيم باسم سوريا وتركيا، فيَذهب فقط إلى الثانية، ولم يصل منه شيء إلى أيّ من مناطق الأولى. فحتى أمس، وصلت خمس طائرات سعودية تحمل فرق إنقاذ ومساعدات إغاثية إلى تركيا. وعلى رغم أن وسائل إعلامية سعودية واكبت وصول المعونات، قالت إن جزءاً منها سيذهب إلى سوريا، إلّا أنها لم تتحدّث عن آليّة لحصول ذلك، فيما من غير المتوقّع أن تُسهّل تركيا وصوله إلا بعد تشبّع الجانب التركي. ويبدو أن الرياض لا تريد في هذه المرحلة التعامل المباشر مع النظام السوري، على رغم المحادثات المستمرّة بين الجانبين بعيداً عن الأضواء، في حين أن إرسال المساعدات مباشرة إلى مناطق الشمال الواقعة تحت سيطرة المعارضة، يفترض تعاملاً مباشراً مع الفصائل المسيطرة هناك من مثل «جبهة النصرة»، وهي فصائل أوقفت المملكة التعامل معها منذ انسحابها من دعْم المسلّحين في مرحلة مبكرة من الحرب.

وجمعت منصّة «ساهم» التي أطلقتْها السعودية لسوريا وتركيا معاً، 200 مليون ريال، أي نحو 53 مليون دولار حتى أمس، وهو مبلغ متواضع نسبةً إلى حجم الكارثة وإمكانات المملكة، في حين حضر «مركز الملك سلمان للإغاثة» التبرّعات لمتضرّري الزلزال به، ما يعني منْع المبادرات الأهلية التي يمكن أن تُظهّر حجم التعاطف الشعبي السعودي مع المتضرّرين، ولا سيما المقيمين منهم في المناطق التي تسيطر عليها «النصرة» وباقي التنظيمات الإسلامية. وعليه، يبدو الامتناع السعودي عن الهبوط في مطارات دمشق أو اللاذقية أو حلب مرتبطاً بالسياسة، ولا علاقة له بالامتثال لـ«قانون قيصر»، إذ كانت تستطيع السعودية بسهولة، كما الإمارات، خرْق ذلك القانون، وهي

> تركيا تُحرج الحكومات الخليجية بمنع وصول المساعدات إلى الجانب السوري

التي «طنّشت» الأميركيين في قضايا أهمّ بكثير، مثل التعاون مع روسيا والصين.

أمّا في ما يتعلّق بقطر، فعلى رغم العلاقة التي تعود إلى بدايات الحرب السورية بينها وبين فصائل مختلفة من المعارضة، والتمويل القطري المعلَن للأخيرة، والذي ساهم مساهمة كبيرة في تدمير مناطق تلك الفصائل، إلّا أن الوجود الإغاثي القطري يكاد يكون معدوماً هناك، في حين أرسلت الدوحة فرق إنقاذ وتعهّدت بإقامة منازل جاهزة للمتضرّرين في تركيا. وحتى الإعلام القطري الذي كان يغطّي مناطق المعارضة السورية خلال الحرب، وكان يُفترض أن يَنقل الصورة منها بعد الزلزال، مثل قناة «الجزيرة»، حجب التغطية إلى حدّ كبير، بسبب العلاقة الخاصة بين الدوحة وأنقرة. وعمد مذيعو القناة المذكورة إلى مقاطعة حديث كلّ مَن ينتقد لا عدالة توزيع المساعدات من القائمين على أعمال الإنقاذ في الشمال السوري، والذين أجمعوا على تظهير الأمر، في حين كانت التغطية على الجانب التركي متواصلة على مدى 24 ساعة، لحظة بلحظة، وشاملة لكلّ المناطق المتأثّرة. وبالتالي، ظلّت أخبار ما يجري على الجانب السوري مطمورة مع الضحايا تحت الركام.

في ما يتعلّق بالكوبت التي أعلنت حكومتها مساعدة بقيمة 30 مليون دولار لسوريا وتركيا، فقد اعتمدت المسار السعودي نفسه، بإرسال المساعدات الإغاثية إلى الجانب التركي، في انتظار سماح تركيا بوصول جزء منها إلى الجانب السوري، لتخفيف الإحراج عن الحكومات الخليجية التي تعرّضت لحملة عنيفة على وسائل التواصل الاجتماعي، بسبب عدم وصول المساعدات إلى ذلك الجانب، وهو ما يبدو أن أنقرة بدأت تتفهّمه، إذ نُقل عن مسؤول تركي قوله إن بلاده تناقش فتْح معبر لإيصال المساعدات إلى المناطق السورية المتضرّرة. إلّا أن ما لا تستطيع التحكّم به الكويت هو التبرّعات الشعبية التي انطلقت حملات جمْعها، والتي سيجد أغلبها طريقه إلى الشمال السوري، بسبب العلاقة التي يرتبط بها الكثير من أعضاء مجلس الأمّة والناشطين الكويتيين بمقاتلي المعارضة. والدور التركي في منْع إيصال المساعدات إلى سوريا كان جلياً، من خلال قرار إغلاق معبر باب الهوى بين البلدين بُعيد وقوع الزلزال، بحيث توقّف إيصال المساعدات، حتى التي كانت قد وصلت إلى الجانب التركي قبل الحدث، إلى أن أفرجت أنقرة قبل يومين عن ستّ شاحنات تحمل بعضاً من تلك المعونات.

وحدها الإمارات كانت متحرّرة من تلك الحسابات في تعاملها مع الزلزال، لأن أبو ظبي لم تتورّط من الأساس في الحرب السورية إلّا لماماً، لأسباب خاصة بها، كما أنها استأنفت علاقاتها مع دمشق منذ سنوات، وهي تملك مرونة للقيام بخرق العقوبات الأميركية. ونتيجة ذلك، تمكّنت من إرسال مساعدات مباشرة عبر مطار دمشق في وقت مبكر، وظهرت سياسياً بمظهر مَن يستطيع الاستجابة لنداء «الإخوة»، ونالت مديحاً من الحكومة السورية المعنيّة مباشرة بالكارثة. وبدا إطلاق ما سمّته أبو ظبي عملية «الفارس الشهم» لإغاثة سوريا وتركيا، مُوجَّهاً إلى دول الخليج الأخرى، ولا سيما السعودية التي تمرّ العلاقات معها بأزمة، بقدر ما هو موجّه إلى الرأي العام العربي، وتحديداً الداخل الإماراتي المتململ من إهانة التطبيع مع الاحتلال. ولعلّ هذا ما عكسه الأكاديمي الإماراتي، عبد الخالق عبدالله، حين قال لصحيفة «وول ستريت جورنال» الأميركية إن دبلوماسية المساعدات الإنسانية، ستمهّد للدبلوماسية السياسية التي تسعى لعودة سوريا إلى الجامعة العربية.

(أ ف ب)

على الغلاف

الأوروبيون يفتحون عيناً واحدة مأساة سوريا غير مرئيّة

لندن ـ سعيد محمّد

في أعقاب الزلزال الذي ضرب الجنوب التركي والشمال السوري، أعلنت بريطانيا أنها سترسل دعماً إلى البلدَين المنكوبَين، فيما نُقل عن مسؤولين في وزارة خارجيّتها قولهم إن فريق بحث وإنقاذ مكوّناً من 77 شخصاً، معزَّزاً بمعدّات متخصّصة وآليات ثقيلة، يشارك بالفعل في العمليات على الأرض ضمن إقليم هاتاي (الإسكندرون)، وإن شحنات متتابعة من مواد حيوية مثل الأدوية والخيام والبطانيات ستصل إلى هناك تباعاً، كجزء من استجابة المملكة لتغطية حاجات الطوارئ لِما يصل إلى 15 ألف شخص على الأقلّ. كما عُلم أن لندن بصدد تجهيز فريق ضخم من الأطبّاء الذين سيرسَلون إلى تركيا تالياً مزوَّدين بالقدرات والمعدّات الجراحية اللازمة للتعامل مع إصابات. في المقابل، تجاهلت الحكومة البريطانية تماماً الحاجة الماسّة إلى المساعدة في الجانب السوري، واكتفى وزير خارجيتها، جيمس كليفرلي، بذكر سوريا في سياق تبجُّحه بإرسال الدعم الإنساني إلى المتضرّرين، قاصداً تحديداً بعض المساعدات التي ترسلها الأمم المتحدة إلى مناطق سيطرة المعارضة المسلّحة، قبل أن يَصدر بيان عن وزارته لاحقاً يفيد بأن بريطانيا التزمت تقديم تمويل إضافي لا يقلّ عن ثلاثة ملايين جنيه إسترليني (3,65 ملايين دولار) لدعم عمليات الإغاثة الطارئة، وذلك عبر منظّمة «الخوذ البيضاء» حصراً. والمنظّمة المذكورة أسّستْها وتُموّلها بريطانيا في إطار مشاركتها الفاعلة في الحرب في سوريا، لتعمل كواجهة مدنية في خدمة المسلّحين، وتُشارك بكثافة في الحملة الإعلامية ضدّ الدولة السورية.

السياسة البريطانية في كيْل المساعدات بمكيالَين، وفرْز السوريين بناءً على طبيعة السلطة في مناطقهم، من دون النظر إلى الحاجات الإنسانيّة الماسّة لجميع السكّان، تتكرّر بحذافيرها في برلين وباريس وبروكسل وغيرها من العواصم الأوروبية، إذ أرسلت ألمانيا إلى تركيا فريقَين متخصِّصين في عمليات البحث والإنقاذ، إضافة إلى 25 من رجال الشرطة الاتّحادية بينهم أطبّاء ومسعفون ومدرّبون للكلاب للمساعدة في العثور على ناجين تحت الأنقاض، فضلاً عن 82 طنّاً من مواد الإغاثة التي نقلها الجيش الألماني بصفة عاجلة. كذلك، ثمّة منظّمات غير حكومية ألمانية، يساعد بعضها في إدارة وصول المساعدات الدولية عبر مطار أضنة، في حين تعدّ برلين الآن لإرسال فرق طوارئ طبّية وفق حاجة الجانب التركي، وتخطّط لمشاريع إسناد وإيواء عبر الصليب الأحمر الألماني. أمّا في ما يتعلّق بسوريا، فقد تجاهلت ألمانيا تماماً الوضع الكارثي هناك، واكتفت مصادرها بالقول إنه «يتمّ النظر إلى ما يمكننا القيام به للمساعدة في شمال غرب سوريا (منطقة إدلب)»، علماً أن برلين تُعدّ ثاني أكبر داعم مالي للمنطقة الخارجة عن سلطة الحكومة في دمشق - بعد واشنطن -، ولديها روابط (وثيقة) مع المنظّمات غير الحكومية الناشطة هناك. وفي وقت لاحق، تعهّدت الحكومة الألمانية بزيادة دعمها بمقدار 26 مليون يورو إضافية للمساعدة في التعامل مع آثار الزلزال الأخير، معلِنةً أنها ستسند جهود الأمم المتحدة بهذا الخصوص.

السياسة البريطانية في كيْل المساعدات بمكيالَين، تتكرّر بحذافيرها في برلين وباريس وبروكسل

وقبل الكارثة، كان الحلفاء الغربيون والعرب يرسلون إمدادات إلى مناطق سيطرة المسلّحين عبر معبر حدودي واحد مفتوح - باب الهوى -، بموجب قرار مجلس الأمن الدولي الرقم 2672. لكن هذا المعبر تَضرّر وتعطّل مؤقّتاً بسبب الكارثة، قبل أن يعاد فتحه بشكل جزئي (الخميس)، ومع ذلك، فإن الأضرار الأوسع نطاقاً التي لحقت بالبنية التحتية اللوجستية في جميع أنحاء جنوب تركيا تعني أن إرسال أيّ مساعدات كبيرة عبر أنقرة سيمثّل تحدّياً كبيراً لبعض الوقت. وتريد بعض العواصم الأوروبية فتْح نقاط عبور حدودية جديدة عبر الشمال السوري للوصول إلى إدلب، لكنها تحتاج إلى التوصّل إلى اتّفاق جديد في مجلس الأمن، وهو ما يتطلّب ضوءاً أخضر روسياً، لا يبدو أن موسكو ستمنحه بسبب التوتّرات مع الغرب حول حرب أوكرانيا، فضلاً عن رغبتها الدائمة في قصْر مرور المساعدات الدولية على بوّابة دمشق.

باريس، بدورها، اتّبعت النهج البريطاني - الألماني ذاته، إذ أورد بيان للسفارة الفرنسية في لندن أنه بناءً على طلب الرئيس إيمانويل ماكرون، فقد استجابت فرنسا على الفور لطلب تركيا الحصول على المساعدة الدولية. وبحسب البيان، تعمل في تركيا مفرزتان فرنسيتان للبحث والإنقاذ، تشملان ما مجموعه 143 شخصاً، بالإضافة إلى فريق من مركز الأزمات والدعم، وموظف فرنسي ضمن فريق التنسيق الأوروبي الموفد إلى المنطقة، كما ستصل تباعاً فرق طبّية لتشغيل مستشفى ميداني، وفريق متخصّص بإدارة اللوجستيات المعقّدة، فضلاً عن تقديم دعم عيني ومالي لمنظّمات الصليب الأحمر والهلال الأحمر العاملة على الأراضي التركية لتمكينها من تنفيذ عمليات إيواء المشرّدين. أمّا في ما يتعلّق بسوريا، فستكتفي باريس بتقديم 12 مليون يورو إضافية لدعم سكّان الشمال الغربي، عبر المنظّمات غير الحكومية المحلّية والغربية والأمم المتحدة.

من جهته، عبّأ الاتحاد الأوروبي فِرق البحث والإنقاذ من الدول الأعضاء، بما مجموعه أكثر من 1000 عامل طوارئ و70 كلباً بوليسياً، أُرسلوا على الفور إلى تركيا التي تقدّمت بطلب عاجل للمساعدة عبر آلية الحماية المدنية للاتحاد. والآلية المذكورة تأسّست لتنسيق استجابة دول التكتّل عندما تطغى حالة طوارئ على قدرات الاستجابة لبلد ما في أوروبا أو خارجها، وتتقدّم حكومته بطلب للإغاثة. ومع أن سوريا وجّهت الطلب نفسه، إلّا أن المفوضية الأوروبية لم ترسل شيئاً إلى دمشق بعد، في ظلّ إصرار عنيد على عدم تجاوُز العقوبات الأوروبية المفروضة على الدولة السورية منذ عام 2011. لكن أنباء تردّدت لاحقاً عن أن المفوضية ستعرض على الدول الأعضاء «إمكانية الاستجابة بشكل إيجابي لطلب دمشق»، ربّما عبر توفير مساعدات عينيّة لا تتعارض جذريّاً مع العقوبات المفروضة. لكن الراعي الأساس للحصار على سوريا، أي الولايات المتحدة، ما زال يرفض وبشدّة رفْع العقوبات، ويطالب الحكومة السورية بفتح المزيد من المعابر الحدودية لإيصال المساعدات.

مع أن سوريا وجّهت طلباً عاجلاً للمساعدة، إلّا أن المفوضية الأوروبية لم ترسل شيئاً إلى دمشق بعد (أ ف ب)

النكبة في بازار السياسة واشنطن لحلفائها: أعينُونا على الكذب!

انتظرت الولايات المتحدة مرور أربعة أيّام على وقوع الكارثة، لإعادة تفسير فحوى «برامج عقوباتنا» التي جدّدت القول - عبر وزارة خارجيتها - إنها «لا تستهدف المساعدات الإنسانية، وتسمح بالأنشطة الداعمة للمساعدات الإنسانية، بما في ذلك في المناطق التي يسيطر عليها النظام». وإنْ كان التفسير المتقدّم مكروراً ولا يتضمّن أيّ جديد، إلّا أن تأخيره أربعة أيّام كان يمكن خلالها تقديم العون اللازم، ووصول المساعدات الأكثر إلحاحاً لانتشال العالقين من تحت الأنقاض، وربّما نجاة كثيرين من الذين لم يَعُد الحظّ حليفهم، مع دخول نكبة السوريين الجديدة بازار السياسة، يجلّي كيفيّة استخدام أدوات الهيمنة، حتى في أحلك الأوقات وأمرّها. وفي اليوم الرابع على «الزلزال العظيم»، غَسلت أميركا يدها من دماء كثيرة سالت بفعل العقوبات والحصار وخطوط الحرب التي وإنْ لم تميّز بين منطقة وأخرى في المصاب الذي ألمّ بالسوريين كما الأتراك، فهي ظلّت حاضرة لدى صنّاع القرار الأميركيين، بعدما تبيّنوا أن لا استثناءات إلّا بأمرنا. وهكذا، تمخّض الانتظار المرير، في هذا اليوم أيضاً، الخميس، عن «استثناء من العقوبات يتعلّق بالمعاملات المالية للأغراض الإنسانية لمدّة 6 أشهر»، أخرجته وزارة الخزانة الأميركية المنوط بها السهر على إطباق الخناق على سوريا، من خلال «قانون قيصر».

وفي الاستثناء الساري، فإن «مكتب مراقبة الأصول الأجنبية» التابع لوزارة الخزانة، (OFAC)، منح ما سمّاه «ترخيصاً عاماً» رقمه 23، يأذن، على مدى 180 يوماً، بجميع المعاملات المتعلّقة بالإغاثة من الزلزال، والتي كانت محظورة بموجب لوائح العقوبات الخاصة بسوريا. وجاء فيه أيضاً، على لسان والي أديمو، مساعد وزيرة الخزانة جانيت يلين، بعد تقديم «خالص تعازينا للشعبَين التركي والسوري على الخسائر المأسوية في الأرواح والدمار الذي أعقب الزلازل المدمّرة»، أنه «فيما يتجمّع الحلفاء الدوليّون والشركاء في المجال الإنساني لمساعدة المتضرّرين، أودّ أن أوضح أن العقوبات الأميركية على سوريا، لن تقف في طريق جهود إنقاذ حياة الشعب السوري»، ذلك أن «برامج العقوبات الأميركية تحتوي بالفعل على إعفاءات قويّة خاصّة بالجهود الإنسانية. ومع ذلك، أصدرت وزارة الخزانة، اليوم (الخميس)، ترخيصاً عاماً شاملاً لتفويض جهود الإغاثة من الزلزال، حتى يتمكّن أولئك الذين يقدّمون المساعدة من التركيز على ما هو أهمّ: إنقاذ الأرواح وإعادة البناء». وبحسب الوزارة، فإن تخفيف العقوبات وحده «لا يمكن أن يحجب التحدّيات الهيكليّة طويلة الأمد والتكتيكات الوحشية لنظام الأسد، لكنّه يمكن أن يضمن أن العقوبات لا تمنع المساعدة المنقذة للحياة واللازمة بعد هذه الكارثة». وعليه، «يتوسّع هذا التفويض الجديد في الإعفاءات الحالية من العقوبات المعمول بها بالفعل في سوريا للمنظّمات غير الحكومية، والمنظّمات الدولية، والحكومة الأميركية»، كما يَرِد في البيان. وفي اليوم نفسه، أكدتَ الولايات المتحدة عبر حساب سفارتها في سوريا، أن «برامج عقوباتها المفروضة على النظام السوري لا تستهدف المساعدات الإنسانية»، وأن «واشنطن تسمح بالأنشطة الداعمة للمساعدات الإنسانية بما فيها المناطق الخاضعة لسيطرة النظام السوري»، وأنها ملتزمة «بتوفير المساعدات الإنسانية الفورية والمنقذة للحياة بهدف مساعدة المجتمعات المتضرّرة على التعافي من الكارثة».

حتى الآن، أصرّت الولايات المتحدة على المُضيّ قُدُماً في سياستها المعمول بها لمعاقبة سوريا، لأنه سيكون من المفارقة، وفق ما جاء على لسان الناطق باسم الخارجية الأميركية، نيد برايس، «أن نتواصل مع حكومة عاملت شعبها بوحشيّة على مدار أكثر من عشر سنوات، باستخدام الغازات، وذبحهم، وهي تتحمّل المسؤولية عن الكثير من المعاناة التي يقاسونها». فبدلاً من ذلك، «لدينا شركاء إنسانيّون على الأرض يمكنهم تقديم نوع المساعدة في أعقاب هذه الزلازل المأساوية، هؤلاء الشركاء الإنسانيون الذين نشطوا على الأرض منذ الأيّام الأولى للحرب، فيما لم يُظهر الأسد أبداً أيّ مَيْل لوضْع رفاهية شعبه ومصلحته في المقام الأوّل». ومِثله، كرّر الرئيس الأميركي، جو بايدن، أن المساعدة الأميركية لسوريا ستكون عبر مَن سمّاهم «الشركاء الإنسانيين» المدعومين من الولايات المتحدة، أي الإبقاء على «قانون قيصر» سيفاً مصلتاً على رقاب السوريين، وإغاثة مَن ترى أميركا أنه يستحقّ الحياة.

وربّما أحسّت الولايات المتحدة، قبل بيان «خزانتها» المتأخّر جدّاً، بأن الانتقادات بدأت تمسّ جوهر «مبادئها»، فحتّى الأمين العام للأمم المتحدة، أنطونيو غوتيريش، حذّر من أن العقوبات تعوّق الجهود المبذولة لإيصال المساعدات في سوريا، مشدّداً على أنه «لا ينبغي أن تتداخل العقوبات مع جهود الإغاثة في سوريا، حيث تتعامل البلاد مع تداعيات الزلزال المدمّر»، وأنه يجب «ترْك السياسة جانباً لإنقاذ المدنيّين العالقين تحت الأنقاض» هناك. وعلى المقلب الآخر، أُرسلت فرق أميركية إلى تركيا، ونحو 77 طنّاً من الأدوات والمعدات الخاصّة لمواجهة آثار الزلزال الذي ضرب جنوب البلاد. وتعليقاً على هذه المساعدات، قالت الناطقة باسم البيت الأبيض، كارين جان - بيار، إنها شملت: كسّارات الخرسانة، ومناشير، ومثاقب، وأدوات تقطيع المعادن بالأوكسجين ومعدات طبيّة، موضحةً أن فريق البحث والإنقاذ الأميركي يواصل أعماله في المناطق التركية المنكوبة، وأن بلادها تقف إلى جانب تركيا في محنتها، وأنها ستواصل تقديم مساعداتها لها؛ وكلّ ذلك في ظلّ حاجة سوريا الملحّة إلى أوسع دعم ممكن بالمعدّات والاختصاصيين، وحتى الوقود، لإغاثة المنكوبين العالقين تحت الركام، والذين تتضاءل فرص نجاتهم يوماً بعد آخر.

حتى الآن، أصرّت الولايات المتحدة على المُضيّ قُدُماً في سياستها المعمول بها لمعاقبة النظام السوري

(الأخبار)

(أ ف ب)

1,1 مليار دولار خسائر أوّلية: القعر السوريّ يزداد عمقاً

زياد غصن

مع أنه من المبكر تقدير حجم الخسائر الاقتصادية التي تسبّب بها الزلزال الأخير، على اعتبار أن عملية إحصاء الأضرار الحاصلة وتقدير قيمتها في المحافظات الأربع وعلى المستوى الوطني لا تزال في بدايتها، وأن الجهد الأكبر مُوجَّه الآن إلى رفْع الأنقاض وإنقاذ الأرواح وانتشال جثث الضحايا، إلّا أن المؤشّرات الأوّلية تفيد بأن تلك الخسائر ستكون كبيرة وممتدّة زمنياً. ومردّ ذلك إلى تعدُّد الأضرار وطبيعتها؛ فهي مثلاً لا تقتصر على الأبنية السكنية المتضرّرة بشكل مباشر، وإنما تشمل أيضاً الأبنية غير الآمنة التي تفرض عوامل السلامة إخلاءها من ساكنيها، فضلاً عمّا لحق بالبُنى التحتية والممتلكات العامّة والخاصة، وتوقُّف بعض المنشآت عن الإنتاج، وغير ما تَقدّم من تبعات معتادة جرّاء الكوارث الطبيعية.

وبحسب ما يَذكر الاستشاري الاقتصادي، سعد بساطة (حلب)، فإن «هناك نوعَين من الخسائر الاقتصادية للزلزال الأخير: خسائر مادّية وأخرى لا مادّية. وحالياً، ثمّة صعوبة في إحصاء الخسائر المادّية نتيجة المستجدّات المتغيّرة بشكل لحظي أحياناً». ومن بين الخسائر المادّية، يعدّد بساطة، في حديثه إلى «الأخبار»، «وجود عشرات الأبنية المتهدّمة والمنهارة، مئات العقارات المتشقّقة التي تُعتبر خطرة على السكّان، مئات السيّارات التي تحطّمت، الخسائر الفردية في العديد من المنازل، تعرُّض خزّانات الوقود للضرر وتسرُّب محتوياتها، وبعض الحرائق التي نشبت في المنازل». أمّا الخسائر اللامادية، وهي برأي بساطة تحظى بالأهمية نفسها، فتشمل «انكشاف حالة الجاهزية الضعيفة لدى الدفاع المدني، الإطفاء، المشافي والمستوصفات، الآليات والعناصر البشرية والمعدّات، وغيرها».

وتزداد خطورة الخسائر اتّضاحاً مع مقاربة المؤشّرات الاقتصادية والديموغرافية الخاصة بالمحافظات الأربع الأكثر تأثّراً بالزلزال. فمثلاً، تأتي محافظة حلب في المرتبة الأولى لجهة مساهمتها في الناتج المحلّي الإجمالي للبلاد، وبنسبة تُقدَّر بحوالي 16,04% وفقاً لتقديرات عام 2019، فيما تأتي حماة في المرتبة الخامسة بنسبة مساهمة قدْرها 8,78%، واللاذقية في المرتبة السادسة بنسبة قُدّرت بحوالي 7,81%. أمّا إدلب، التي تعيش وضعاً خاصاً جرّاء تقاسُم السيطرة عليها بين الحكومة والفصائل المسلّحة، فإن مساهمتها قُدّرت بحوالي 2,72%.

تقديرات أوّلية

لا يبدو أن هناك قطاعاً سيكون بمنأى عن أضرار الزلزال. فإلى جانب الأبنية السكنية التي تُظهر البيانات الرسمية الأوّلية تضرُّر حوالي 276 بناءً منها أو تهدُّمها بشكل كامل، واضطرار ما يَقرب من 400 ألف شخص إلى ترْك منازلهم؛ إمّا لأنها باتت مُهدَّدة بالسقوط أو لخوفهم من حدوث هزّة زلزالية جديدة، فقد سجّلت المؤسّسات الحكومية تضرُّر العديد من منشآتها، حيث اضطرّت وزارة النفط إلى إيقاف مصفاة بانياس عن العمل ليومَين، فيما أعلنت وزارة التربية تضرُّر قرابة 600 مدرسة حكومية، كما قامت مؤسّسات أخرى بإخلاء مقرّاتها.

وفي هذا السياق، يَتوقّع الأستاذ في كلّية الاقتصاد في جامعة تشرين، ذو الفقار عبود، أن «يصل التأثير الاقتصادي للزلزال في سوريا إلى أكثر من 1,1 مليار دولار بشكل مبدئي، كما من المتوقّع أن تبلغ التكلفة الاقتصادية بشكل عام حوالي 1,6% من الناتج المحلّي الإجمالي للفرد، وقد يستمرّ تأثير هذه التكلفة لمدّة قد تصل إلى 8 سنوات». ويضيف عبود، في حديثه إلى «الأخبار»، أن «الخسائر التي أصابت الأفراد جرّاء فقدان منازلهم وتجهيزاتها، قد تُكلِّف حوالي 300 مليون ليرة سورية لكلّ منزل، وإذا ما قدّرنا عدد الأبنية المنهارة بحوالي 150 بناء تحوي 200 ألف شقّة سكنية، إضافة إلى حوالي 3000 مبنى مهدَّد بالانهيار، فبالإمكان التحدّث عن حوالي 450 مليار ليرة سورية كخسائر فردية فقط، تُضاف إليها تكلفة صيانة وإصلاح حوالي 30 ألف منزل متضرّر جرّاء الزلزال، لتصل التقديرات إلى حوالي 900 مليار ليرة سورية خسائر للأفراد فقط». أمّا الخسائر الحكومية، فقد تتجاوز هذا الرقم بكثير، «حيث قد تصل إلى حوالي مليار دولار (6,9 تريليون ليرة سورية)».

وممّا يرفع من مستوى المخاوف أيضاً، أن الخسائر البشرية والمادّية لا تزال مرشّحة لمزيد من الارتفاع، مع بقاء الاحتمالات مفتوحة على حدوث انهيارات جديدة في الأبنية جرّاء تصدُّع جدرانها على خلفية الزلزال الأوّل، أو تلك المتضرّرة بفعل المعارك العسكرية خاصة مع استمرار الهزّات الارتدادية، وهو الأمر الذي أكّده وقوع عدّة حوادث انهيار بعد مرور يومَين أو ثلاثة أيّام على وقوع الكارثة، كانهيار مبنى في مدينة حرستا في ريف دمشق مساء الأربعاء الماضي. والجدير ذكره، هنا، أن الحكومة أعطت مهلة خمسة أيّام للفِرق الفنية والهندسية للكشف على الأبنية في المحافظات الأربع، والتأكّد من سلامتها الإنشائية وإمكانية إشغالها من قِبَل السكّان خلال الفترة القادمة.

«الحال من بعضه»

في المناطق الخارجة عن سيطرة الحكومة في محافظتَي حلب وإدلب، تبدو الخسائر الاقتصادية للزلزال، هناك أيضاً، أكبر من قدرة المجتمعات المحلّية على تحمُّلها، وذلك في ظلّ تعطُّل مؤسّسات الحكومة عن العمل منذ خُروج تلك المناطق عن السيطرة، وتأخُّر وصول المساعدات الإغاثية أو عرقلة وصولها من قِبَل الجانب التركي وبعض الفصائل المسلّحة المحسوبة عليه، فضلاً عن انعدام الإمكانات الاقتصادية واللوجستية والذي كان سبباً رئيساً في ارتفاع أعداد الضحايا الذين لا يزال الكثيرون منهم عالقين تحت الأنقاض لليوم الخامس على التوالي، ومفاقمة معاناة المشرّدين وصعوبة حصولهم على الطعام والدواء ووسائل التدفئة. فمثلاً، في منطقة جنديرس في ريف حلب، تذهب التقديرات الأوّلية إلى أن 70% من منازلها تعرّضت للانهيار فوق رؤوس ساكنيها. وكذلك الأمر بالنسبة إلى مدينة حارم في ريف إدلب، والتي تكشف المعلومات عن انهيار مئات الأبنية السكنية فيها، فيما تسبّبت زيادة منسوب مياه نهر العاصي، أخيراً، في تشريد 7 آلاف شخص، بحسب مصادر إعلامية.

بالنتيجة، مرحلة ما بعد الزلزال الذي ضرب الجنوب التركي والشمال السوري لن تقلّ ألماً وبؤساً عن اللحظات الأولى لوقوعه، خصوصاً في الحالة السورية بحُكم الوضع الاقتصادي المتدهور في جميع مناطق البلاد منذ عدّة سنوات، والأثر العميق للعقوبات الغربية على جميع نواحي الحياة اليومية للمواطنين، وفوق كلّ ذلك ضعف الاستجابة الدولية لنداءات الاستغاثة التي أطلقتْها المناطق المنكوبة منذ الدقائق الأولى لوقوع الكارثة. باختصار، يمكن القول، إنه على هوْل الأرقام والبيانات المتعلّقة بالحصيلة النهائية للخسائر البشرية والاقتصادية، والتي سوف تُعلَن قريباً، فإن حكايات السوريين الذين باتوا تحت الأنقاض لأيام، ومعاناة من كُتبت لهم النجاة، سيبقى وقعها الأثقل وطأة على الإطلاق.

(الأخبار)

على الغلاف

أنطاكيا «انتهت»... وهجرة الزلزال تتعاظم
تركيا مصدومة، مشوّشة ومنقسمة

محمد نور الدين

كان صوت المنكوبين في زلزال السادس من شباط واحداً: «لقد انتهينا وأفلسنا». وفي كلّ مكان، كانت الحافلات والسيّارات والقطارات والطائرات ووسائل النقل المختلفة تغصّ بعشرات الآلاف السكان الذين يغادرون المناطق المنكوبة إلى النواحي الغربية من تركيا. وخلال يومَين فقط، نقلت الخطوط الجوّية التركية، وفقاً لصحيفة «أقسام» الموالية، أكثر من خمسين ألف مسافر، في ما سمّته الصحيفة «هجرة الزلزال». في هذا الوقت، كانت أعداد الضحايا تقترب بسرعة من العشرين ألفاً، والجرحى يتعدّون السبعين ألفاً، مع بقاء عشرات الآلاف تحت الأبنية المهدّمة، وسط نقص كبير في المعدّات وفرق الإنقاذ، التي تُسابق الوقت لمحاولة إنجاء مَن بقوا أحياء وسط الركام. وتجاوزَ الرقم الرسمي للضحايا، حتى الآن، عددهم في زلزال 1999 في شرق بحر مرمرة، والذي بلغ حوالي 18 ألف قتيل و43 ألف جريح. وبحسب صحيفة «يني شفق» الموالية، فإن الزلزال الأوّل في قهرمان مراش، والذي كان بقوّة 7,7 درجات، دمّر أربعة آلاف مبنى، فيما بلغ عدد المباني المدمّرة نتيجة الزلزال الثاني، والذي كان بقوّة 7,6 درجات وحدث بعد تسع ساعات في المنطقة نفسها تقريباً، ستمئة ألف. وبرّرت صحيفة «يني عقد» الموالية اتّساع حجم الخسائر بالقول إن الدولة لم تكن عاجزة، ولكن الزلزال كان أكبر من التوقّعات، بينما قالت صحيفة «يني تشاغ» إن تركيا خسرت السباقَ مع الزمن لمواجهة آثار الزلزال.

وتُجمع الأخبار التي تُنشر على أن قوائم الأرض تفوق بمرّات ما يُسمع عنها أو يُرى منها على شاشات التلفزة. وفي هذا الإطار، يَكتب مراد أغبريل، في صحيفة «جمهوريات»، أن مباني أنطاكيا تضرّرت منها 70% بصورة كبيرة جدّاً «لا يمكن وصفها»، ذاهباً إلى القول إن المدينة «انتهت، ولكن لا بدّ من المحاسبة لاحقاً». وتذكر صحيفة «ملّي غازيتيه»، بدورها، في عنوانها الرئيس، أن أنطاكيا أصبحت «مدينة من الماضي»، فيما تصف إيلاي أقصوي، نائبة رئيس الحزب الديموقراطي المعارض، في اتّصال مع «الأخبار»، منطقة الزلزال بأنها «تحوّلت إلى صحراء من شدّة الدمار واتّساعه». ويشبّه المهندس شرف الباغو، من جهته، انهيار المباني الجماعي في وسط قهرمان مراش بـ«فارس رماه الحصان بقوّة من على ظهره»، لافتاً إلى أن «أعمدة الأبنية تكسّرت، وهذا من جزاء الغشّ في مواد البناء». كذلك، بدت لافتةً استقالة المذيعة المعروفة، ديلارا غوندير، على الهواء مباشرة من تلفزيون «شو تي في»، أثناء حوار لها مع أحد خبراء الجيولوجيا احتجاجاً على ما يسوقه المؤيّدون للحكومة حول أسباب الزلزال، مُخاطبةً ضيفها بالقول: «هل ستعطيني درساً في أسباب الموت؟ دائماً نُعطي دروساً في الموت، لكن هذه المرّة لن تمرّ مثل هذه الدروس». وإذ تدفّقت المساعدات من كلّ أنحاء العالم على تركيا، بدا لافتاً أن الولايات جاءت إلى السواحل التركية بحمالة طائراتها «جورج إتش دبليو بوش» للمساعدة، ما خلق نفوراً من هذه الطريقة وقلقاً أمنياً. ويقول الأميرال المتقاعد والمعروف، جيم غوردينيز، إن «هناك علامات استفهام كبيرة حول ما إذا كانت الحكومة التركية بالذات طلبت من أميركا توجيه حاملة الطائرات. وفي جميع الأحوال، هي ليست مجهّزة بما يُمكّنها من المساعدة في عمليات الإنقاذ. كما أن توجّهها إلى ساحل الإسكندرون يثير حساسيات وطنية كثيرة وقلقاً أمنياً». ويرى العقيد المتقاعد، علي تورخشين، بدوره، أن «المساعدة لا تكون بإرسال سفن حربية»، متسائلاً: «لماذا تأتي الحاملة الآن بعد أربعة أيام من وقوع الزلزال؟ إذا كان من مساعدة، فلتكُن الطريقة التي قدّمتها اليونان للمساعدة منذ اليوم الأول، على رغم خلافنا معها، هي النموذج الذي على أميركا أن تحتذي به».

وتُحاول الحكومة أن تُسابق الزمن لمواجهة الكارثة والانتقادات. وإذا كان إعلان حال الطوارئ وارداً في مثل هذه الحالات لتجاوز البيروقراطية، فإن موجة تحفّظات قابلت هذا الإعلان، عادّةً إيّاه مجرّد ذريعة لإسكات حملات الانتقاد، خصوصاً أن إردوغان دافع عن الخطوة بأنها ستتيح للحكومة مواجهة «مجموعات الفتنة». ويرى الحقوقي طورغوت قازان أن «حال الطوارئ يُراد منه قمع المعارضين، تماماً كما حدث بعد انقلاب 2016، وهي ليست سوى وسيلة للدخول في مناخ الانتخابات والمعارضة تحت الضغط»، فيما يعتقد الحقوقي جلال أولغين أنه لا حاجة إلى هكذا إعلان، و«لكن السلطة التي

> على الرغم من هول الكارثة، فإن تباذل الاتهامات بالمسؤولية متواصل

بقيت تحت الأنقاض تريد استثمار ذلك لتجميع بعض القوّة التي لن يضمنها لها القانون». ويتساءل الرئيس السابق لـ«حزب الشعوب الديموقراطي» الكردي، صلاح الدين ديميرطاش، الموجود في السجن منذ خمس سنوات، بدوره: «ما الذي لم يحصلوا عليه من صلاحيات حتى يفرضوا حال الطوارئ»، متسائلاً: «هل كان عدم الإعلان سيمنع الدولة من مكافحة السرقات وجمع المساعدات ورفع الأنقاض؟ بالتأكيد هناك مخطط آخر من وراء ذلك».

من جهة أخرى، ينبّه مدير «مرصد قنديللي» الأشهر في تركيا، خلوق أوزاونير، إلى أن الهزّات الارتدادية قد تستمرّ لأكثر من سنة، فيما ينسب معظم الخبراء قوّة التدمير في الزلزال الأخير إلى أنه وقع على دفعتَين متتاليتَين، وهذا يحدث للمرّة الأولى في تاريخ تركيا. ويشير الخبير في «جامعة غازي»، بولنت أوزمين، إلى أن «الزلازل في هذه المنطقة متوقّعة بشكل دائم، لكن ليس بمثل تلك الضخامة»، مضيفاً أنه «من المدهش أن يحصل زلزال ثانٍ بقوّة أكبر من سبع درجات في المنطقة نفسها. هذا حدث نادر جدّاً». ويرى الباحث ضياء الدين تشاكير، بدوره، أن «الارتدادات ستستمرّ لفترة طويلة، لأن الأرض هنا تحرّكت بقوة، وستستغرق وقتاً طويلاً استعادة الأرض توازنها. لذا لا يزال خطر حدوث زلزال كبير آخر قائماً»، فيما يبيّن عضو «أكاديمية العلوم التركية» وعالم الجيولوجيا، نامق تشاغاتاي، أن «الصفيحة العربية ضغطت على صدْع الأناضول، فتحرّكت هذه غرباً بمقدار ثلاثة أمتار. لكن ليس من المتوقّع أن ينعكس هذا على شمال الأناضول، مع استمرار هزّات صغيرة منفصلة بقوّة 4 درجات إلى الجنوب من هاتاي (الإسكندرون)». كذلك، لا يستبعد عضو الأكاديمية نفسها وعالم الجيولوجيا، جهيد حاوجي، حدوث زلزال جديد منفصل، لافتاً إلى أن «هناك أماكن صدع كثيرة كامنة إلى الجنوب، ويمكن إذا انكسرت صفائحها دفعة واحدة أن تُحدث زلزالاً أكبر بكثير من الزلزال الذي حدث». وفي الاتّجاه نفسه، يعتقد المهندس الجيولوجي، يوجيل يلماز، أن «الارتدادات الزلزالية ستستمرّ شهوراً وليس أياماً»، متوقّعاً أن «يحدث زلزال قوي جدّاً في إسطنبول، لكن لا أحد يعرف متى. وتركيا لا تستطيع تحمُّل زلزال كهذا. وإذا لم نقُم باستعداداتنا الآن، فلن يكون هناك مستقبل مشرق».

وعلى الرغم من هول الكارثة، فإن تبادل الاتهامات بالمسؤولية متواصل. ويرى الكاتب المعروف، مصطفى قره علي أوغلو، في صحيفة «قرار»، أن وصْف الزلزال بـ«كارثة القرن» محقٌ للغاية، لأنه نتيجة «إهمال القرن». ويلفت إلى أن «الناس يصرخون من تحت الأنقاض متوسّلين المساعدة، لكنهم يبحثون بشكل يائس عن يد تمتدّ إليهم، ولا نعرف كم عدد هؤلاء تحت الأنقاض، والسؤال دائماً أنه على رغم أننا بلد زلازل، فالكارثة والعجز كبيران»، مضيفاً: «لقد تجاهلنا زلزال 1999، وتجاهلنا التحذيرات التي أُطلقت بعده. وحدث الزلزال في قهرمان مراش، والذي كان متوقّعاً أن يحدث هناك، ولكن لم نعرف فقط متى سيحدث». ويرى قره علي أوغلو أن «الدولة أهملت ربع قرن، من دون أيّ إجراءات، وتُواصل البناء في كلّ مكان من دون الالتزام بشروط السلامة. لو كانت لدينا خطّة، لما مات شعبنا. كلّ البلدان المعرّضة للزلازل تضع مثل هذه الخطط ولكنّنا لم نفعل. الزلزال كان صدمة، لكن الكارثة كان يمكن تفادي آثارها المدمّرة. الآن، لا فائدة من الشكوى. وما الفائدة بعد أن دُمّر البلد؟».

لكنّ التعليق الأكثر لفتاً للنظر، كان الرسالة التلفزيونية التي وجّهها الصحافي والمخرج المعروف، جان دوندار، الذي كان أضطرّ للهروب إلى ألمانيا، بعدما نشر في عام 2015 وثائق عن تهريب السلاح التركي إلى سوريا في صحيفة «جمهوريات» التي كان يرأس تحريرها. واتّهم دوندار، إردوغان، بأنه «استغلّ زلزال 1999 ليمتطي صهوة الانتخابات ويفوز بها في عام 2002. ومن بَعدها، كلّ الضرائب التي فُرضت لتذهب إلى صندوق الزلازل، تبخّرت وذهبت إلى المشاريع الربحية وإلى مصالحه والمقرّبين منه، لنجد الآن في زلزال قهرمان مراش النتيجة الثقيلة الماثلة للعيان». وأضاف أن «من جاء إلى السلطة بزلزال سيذهب منه بزلزال. زلزال قهرمان مراش كان القطرة الأخيرة التي جعلت كاس سلوكه تطفح وتنكشف أمام الجميع».

وفي الاتّجاه نفسه، رأى الصحافي مراد يتكين أن إردوغان لم يكن أمامه «سوى تبرير الزلزال بأنه من صُنع القدَر، لكنه في عام 1999 شنّ هجوماً لاذعاً على حكومة بولنت أجاويد بسبب الزلزال والإهمال». وأضاف يتكين: «الآن إردوغان موجود في السلطة منذ عشرين عاماً، هل يمكن أن يقول لنا ماذا فعل اليوم وهو يمسك بكلّ السلطة بشخصه، بدل اتّهام الصحافيين بأنهم بلا شرف». وتابع أن «إردوغان عمل بإجراءاته في السنوات الأخيرة على تسريع هدم هياكل الدولة. حتى العديد من مواقع التواصل الاجتماعي يتمّ حظرها الآن كي لا تكشف الحقائق. إن الناس يصابون بالاكتئاب من مجرّد طرح أسئلة لها علاقة بإردوغان»، متسائلاً: «هل ستستفيق تركيا صباح اليوم التالي للانتخابات وتستريح (من إردوغان) مثل رشفة من الماء؟».

(أ ف ب)

وفيات

أشقّاؤه: وهيب وعائلته، عصام وغسان القسيس
شقيقتاه: نوال وعائلتها ومي القسيس
ينعون إليكم فقيدهم الغالي المرحوم
فيصل نجيب القسيس
(مدير الشؤون الإدارية في وزارة المالية سابقاً)
يُحتفل بالصلاة لراحة نفسه يوم غد الأحد 12 الجاري في تمام الساعة الواحدة من بعد الظهر في كنيسة القديس جاورجيوس للروم الأرثوذكس – عاليه.
تُقبل التعازي قبل وبعد الدفن لغاية الرابعة بعد الظهر في صالون الكنيسة. وبعد غد يوم الاثنين 13 منه في منزل الفقيد الكائن في الدكوانة، بناية الصايغ، شارع كنيسة صيدنايا، الطابق الثاني.
للتعازي عبر الهاتف: 01/488213 – 71/055327.

بمناسبة مرور أربعين يوماً على وفاة المأسوف عليها
سيمون عادل مكرزل
زوجة إلياس شفيق سعد
(القنصل الفخري لجمهورية مولدوفا)
يُحتفل بالصلاة لراحة نفسه يوم غد الأحد 12 الجاري في تمام الساعة الثانية عشرة والنصف من ظهر يوم غدٍ الأحد 12 شباط 2023 في كنيسة القديسة ريتا للروم الملكيين الكاثوليك، مونتفيردي.
تُقبل التعازي قبل وبعد الدفن لغاية الرابعة بعد الظهر في صالون الكنيسة. وبعد غد يوم الاثنين 13 منه في منزل الفقيد الكائن في الدكوانة، بناية الصايغ، شارع كنيسة صيدنايا، الطابق الثاني.

إنّا لله وإنّا إليه راجعون
يُصادف يوم غدٍ الأحد الواقع فيه 12 شباط ذكرى مرور أسبوع على وفاة فقيدنا الغالي
البروفسور حازم توفيق شاهين
بهذه المناسبة سيُقام عن روحه مجلس عزاء في حسينية مدينة النبطية في تمام الساعة العاشرة صباحاً للرجال، وللنساء في منزله الكائن في حي الميدان، النبطية.
للفقيد الرحمة ولكم من بعده طول البقاء.

ذكرى

ذكرى ثالث
بمناسبة مرور ثلاثة أيام على وفاة فقيدتنا الغالية المرحومة
مهى عبد الكريم بو حيدر
زوجها: ياسين إسماعيل
بناتها: ديانا، ليس وريان
أشقاؤها: نزيه، سعيد، فادي، مرعي، بلال، علي، أحمد، علاء، محمود ومحمد
صهراها: محمد محسن وعلي قبلان.
تُقبل التعازي يوم غدٍ الأحد الواقع فيه 2023/2/12 من الساعة الثانية حتى الثالثة بعد الظهر في حسينية الإمام الحسين - الشياح.
الأسفون: آل بو حيدر، مراد، قيس، عمرو، إسماعيل، محسن، قبلان وعموم أهالي بلدة الحصون.

إعلانات رسمية

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لتأهيل خزّان سعة 20000 م3 لمادة الفيول أويل في معمل الذوق الحراري، موضوع استدراج العروض رقم ث4ب/1994 تاريخ 2021/5/11، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2023/3/10 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان – أمانة السر – في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 100 ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد إلى أمانة سر كهرباء لبنان – في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 2023/1/31
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 25

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لشراء مادة الحليب الطازج لزوم عمال معامل الإنتاج والمنتدبين من شركة كهرباء لبنان قاديشا إلى معامل كهرباء لبنان، موضوع استدراج العروض رقم ث4ب/2098 تاريخ 2022/6/9، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2023/3/10 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان – أمانة السر – في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 100 ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد إلى أمانة سر كهرباء لبنان – في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 2023/1/31
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 25

إعلان
تعلن كهرباء لبنان بأن مهلة تقديم العروض لتأمين آليات المؤسسة ضد الغبر والمسؤولية المدنية ولتأمين الشاحنات والصهاريج، موضوع استدراج العروض رقم ث4ب/4358 تاريخ 2021/8/18، قد مددت لغاية يوم الجمعة 2023/2/24 عند نهاية الدوام الرسمي الساعة 11:00 قبل الظهر.
يمكن للراغبين في الاشتراك باستدراج العروض المذكور أعلاه الحصول على نسخة من دفتر الشروط من مصلحة الديوان – أمانة السر – في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه، مبنى كهرباء لبنان – طريق النهر وذلك لقاء مبلغ قدره /000 50 ل.ل.
علماً بأن العروض التي سبق وتقدم بها بعض الموردين لا تزال سارية المفعول ومن الممكن في مطلق الأحوال تقديم عروض جديدة أفضل للمؤسسة.
تسلم العروض باليد إلى أمانة سر كهرباء لبنان – في الغرفة المسبقة الصنع رقم 38 المستحدثة في الجهة الغربية من المبنى المركزي لمؤسسة كهرباء لبنان ضمن حرمه.
بيروت في 2023/2/6
بتفويض من المدير العام
مدير الشؤون المشتركة بالإنابة
المهندس واصف حنيني
التكليف 26

استراحة

كلمات متقاطعة 4242

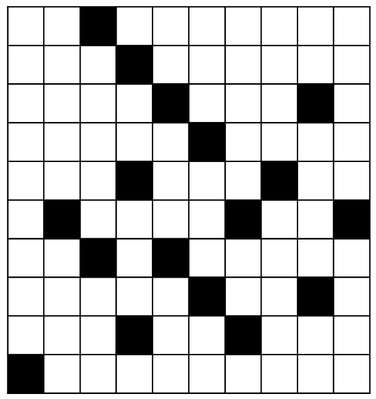

أفقيا
1- عاصمة أوروبية – شعور – 2- إحدى الإمارات العربية المتحدة – ظُلم – 3- من الحيوانات – بهار هندي – 4- رنقوا – الخيّر والمحسن – 5- أنت بالأجنبية – زاوية – ضلال وحيرة – 6- والد – قنّة القميص – 7- جيوش جرّارة – إله مصري – 8- من قطع لعبة الشطرنج – صوت الذئب – 9- يأتي بعد – نهر إيطالي – أحرف متشابهة – 10- كبرى مدن ولاية كاليفورنيا الأميركية

عمودياً
1- عاصمة دولة أفريقيا الوسطى – مدينة لبنانية – 2- تهيّأ للحملة في الحرب – بكاء على الميت – للتمني – 3- فرعون مصري – عاصمة أوروبية – 4- تبيان الحقيقة – شرك ومصيدة – 5- أقام بالمكان – قاس مساحة الحقل – من الحبوب – 6- نوّتة موسيقية – ضمير منفصل – أعلى درجة وذروتها – 7- تعب واعيا – جهاز من حديد يقفل به الباب – 8- رتبة عسكرية نسائية – ركض سريع – 9- ملك صور القديم – جزيرة يونانية – 10- فنانة مغربية تعيش في مصر

حلول الشبكة السابقة

أفقيا
1- عمر المختار – 2- اينشتاين – 3- صل – بش – ازوف – 4- فوجي ياما – 5- ال – نم – 6- بكين – سياق – 7- حياة – مخارز – 8- متر – نشر – يو – 9- 11 – حسم – بني – 10- منبج – شومون

عمودياً
1- عاصفة – حمام – 2- ميلو – بيتان – 3- رن – جاكار – 4- اشبيلية – حج – 5- لتشي – نس – 6- ما – اف – مشمش – 7- خيام – سخر – 8- تنزانيا – بم – 9- مارينو – 10- روفر – قزوين

sudoku 4242

	6			2		1	3	
2				3			7	
7	1		6	4	5			
		6				3	4	
5			3	9				
		9					5	
9					2	8		5
		8			7		1	
	5	1	9			4		7

شروط اللعبة
هذه الشبكة مكوّنة من 9 مربعات كبيرة وكل مربع كبير مقسّم إلى 9 خانات صغيرة. من شروط اللعبة وضع الأرقام من 1 إلى 9 ضمن الخانات بحيث لا يتكرر الرقم في كل مربع كبير وفي كل خط أفقي أوعمودي.

حل الشبكة 4241

3	7	4	8	6	5	2	1	9
1	6	5	9	2	4	3	8	7
9	8	2	7	1	3	6	4	5
6	1	7	3	8	9	5	2	4
2	4	3	6	5	7	1	9	8
8	5	9	1	4	2	7	3	6
5	3	6	4	9	1	8	7	2
4	2	1	5	7	8	9	6	3
7	9	8	2	3	6	4	5	1

مشاهير 4242

11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1

مصممة أزياء وخبيرة تجميل كويتية. درست التصميم في إيطاليا

6+7+11+10+1+5+4 = خلاف الصباح ■ 2+1+3+9 = مداعبة ومزاج ■ 8+11+3 = من الكواكب

إعداد
نعوم مسعود

حل الشبكة الماضية: **إميليو بوتشي**

البلاد

فلسطينيو سوريا: نكبة جديدة

واصف حميدة

لن تستطيع وضع قدمك على أراضي هذه البلاد، من دون أن تشعر بزلزلة الأرض من تحتك، ربما هي هزّة ارتدادية، أو قد تكون هزة متواضعة على مقياس ريختر من فالق زلزالي مجاور، أو أنها ارتداد صرخات الناس الذين ينادون أحبابهم المدفونين تحت الركام، علّهم يسمعون صوت أمل أخذ في التلاشي كلما دارت عقارب الساعة. صور دمار، عائلات تفترش الطرق والحدائق والجوامع والمدارس، استغاثات وتضرع، ووجوه مذهولة من هول ما حدث، تحاول تمالك ما تبقّى لديها من عزيمة لمواجهة القادم الأعظم. هذا هو حال السوريين اليوم بعد الكارثة الأخيرة التي ألمّت بهم، وهو حال فلسطينيي سوريا كذلك، حيث لم تنفصل معاناة اللاجئ الفلسطيني يوماً عن ما يمر به أهل البلاد المستضيفة له، فلاجئو سوريا كان لهم نصيب كبير من المعاناة والألم المسلح الذي شهدته البلاد، فطوال الدمار معظم المخيمات والتجمعات الفلسطينية.

اليوم، وبحضور كارثة الزلزال المدمر الذي ضرب سوريا وتركيا، وراح ضحيته حتى لحظة إعداد المادة (صباح 10 شباط) أكثر من 20 ألف قتيل و76 ألف جريح ومئات الآلاف المنكوبين، عاد عدّاد الضحايا من الفلسطينيين اللاجئين في سوريا إلى الارتفاع مجدداً، مع سقوط المزيد منهم في مخيمات الرمل في محافظة اللاذقية غرب سوريا، ومخيمي النيرب وحندرات في محافظة حلب شمالاً، وفي مناطق شمال غربي سوريا، وفي تركيا.

الخارجية الفلسطينية أعلنت في بيان ارتفاع حصيلة الضحايا من الفلسطينيين إلى 77، بعد وفاة عائلة فلسطينية مكوّنة من 3 أفراد في مدينة أنطاكيا التركية، مرجّحة ارتفاع أعداد الضحايا بسبب عدم اكتمال المعلومات المتوفرة بشأن سلامة جميع الأسر الفلسطينية المتواجدة في المناطق المنكوبة في كل من تركيا وسوريا.

47 ضحية فلسطينية ومئات الجرحى في عموم سوريا

وعن الوضع الإنساني للمخيمات المنكوبة في سوريا، تحدّث السفير أنور عبد الهادي، المدير العام لدائرة العلاقات العربية لمنظمة التحرير الفلسطينية في سوريا، لـ«الأخبار»، بأن المخيمات في اللاذقية وحلب وحماة وبعض التجمعات الأخرى، تعرضت إلى نكبة جديدة بفعل الزلزال الذي ضرب المنطقة، وخاصة مخيمات الرمل والنيرب والتجمعات الفلسطينية في الشمال السوري.

وأوضح عبد الهادي أنه بحسب آخر المعلومات، فإن أعداد ضحايا الزلزال من الفلسطينيين الذين قضوا في مختلف المناطق السورية وصل إلى 46 لاجئاً فلسطينياً في حصيلة غير نهائية، نظراً إلى استمرار أعمال الإنقاذ في بعض المناطق، في وقت لا يزال مصير عدد من العائلات الفلسطينية مجهولاً حتى اللحظة.

ولفت السفير عبد الهادي إلى أن السفارة الفلسطينية لدى دمشق، عملت منذ اللحظات الأولى على إرسال موفودين إلى المخيمات الفلسطينية المنكوبة لمتابعة الأمور على الأرض وتحديد الاحتياجات اللازمة لإنقاذ أرواح سكانها من سوريين وفلسطينيين، مشيراً إلى تحرك طواقم جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، مزوّدةً بالمعدات والأدوية الطبية الإسعافية وسيارات الإسعاف إلى تلك المخيمات في اللاذقية وحلب وحماة، للعمل على المساعدة في انتشال الضحايا والمصابين، ونقلهم إلى المراكز الطبية والمشافي وتقديم الإسعافات الأولية، وتجهيز مراكز إيواء للمنكوبين الذين فروا من منازلهم خشية خطر تداعيها مع الهزّات الارتدادية.

وسجّلت المراصد الدولية للزلازل حتى يوم الجمعة أكثر من 1500 هزة ارتدادية متفاوتة الشدة جراء الزلزال الذي ضرب البلاد فجر الاثنين، الأمر الذي جعل خطر تداعي المنازل وانهيار الأبنية أمراً قائماً حتى اللحظة، وخاصة أن التجمعات السكنية الفلسطينية في المحافظات المنكوبة غير آمنة لناحية الزلازل، ولا تحقق أياً من معايير السلامة في مثل هذه الكوارث الطبيعية.

الخارجية الفلسطينية أعلنت في بيان ارتفاع حصيلة الضحايا من الفلسطينيين إلى 77، مرجّحة ارتفاع الأعداد

وأشار عبد الهادي إلى وصول 43 عضواً (منقذين ومسعفين) من فريق إلى سوريا مساء الخميس، عبر معبر نصيب على الحدود السورية الأردنية، بهدف دعم جهود الإغاثة المحلية والدولية، وسيباشر الفريق العمل فور وصوله إلى المناطق المتضررة نتيجة الزلزال بمساندة الطواقم الأخرى العاملة في المستشفيات الميدانية، والمشاركة في عمليات الإنقاذ والإخلاء والإسعاف بالتنسيق مع السلطات المعنية.

وأكد السفير عبد الهادي الاستعداد لتسخير الإمكانات المتاحة من أجل تقديم يد العون لسوريا، لافتاً إلى وجود نقص كبير لدى طواقم الإنقاذ والإسعاف السورية، وخاصة الآليات الثقيلة التي تساهم بشكل فعال في انتشال الضحايا والناجين من تحت الأنقاض، وذلك بسبب العقوبات الغربية المفروضة على سوريا منذ أعوام، مشدداً على أن الوضع صعب جداً في سوريا جراء هذه الكارثة، والحاجة كبيرة إلى معدات إزالة الركام والمواد الثقيلة.

بحسب إحصائيات وكالة الأمم المتحدة لتشغيل وغوث اللاجئين الفلسطينيين (الأونروا)، فإن حوالي 438 ألف لاجئ من فلسطين يعيشون على الأراضي السورية، يتوزعون على 12 مخيماً في أرجاء سوريا، ويعد شمال سوريا، أكثر المناطق تضرراً بالزلزال، مسكناً لحوالي 62 ألف لاجئ فلسطيني، وتقدر «الأونروا» أن حوالي 90% من هذه العائلات في حاجة إلى المساعدة بسبب الزلزال.

(صهيب عمرانية)

يأتي في مقدمة هذه المخيمات الرمل الجنوبي، والذي سجّل حضوراً في مؤشرات ضحايا الزلزال، حيث تم انتشال 28 جثماناً قضوا تحت ركام الأنقاض من فلسطينيين وسوريين، إضافة إلى عشرات المصابين جراء انهيار 5 مبان بشكل كامل، وتضرر عدد من المنازل بشكل جزئي، بحسب مدير جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني في سوريا الدكتور عاطف هلال، الذي أكد لـ«الأخبار» أن عمليات الإنقاذ داخل المخيم انتهت يوم الخميس، لتتركز جهود الاستجابة على المنكوبين في مراكز الإيواء التي تم افتتاحها في مدارس «الأونروا» والمساجد داخل المخيم، وتقديم الرعاية الصحية والغذاء لهم.

مخيم النيرب في محافظة حلب أيضاً، كان له نصيب من الضحايا، حيث أوضح هلال أن ثلاثة أطفال فارقوا الحياة فيه جراء الزلزال، اثنان منهم توفيا تحت الأنقاض فيما لفظ الثالث أنفاسه الأخيرة في المستشفى جراء إصابته الحرجة، بينما تصدّعت أربعة أبنية بشكل كبير، وطاول الضرر الجزئي 50 منزلاً آخر ومسجداً. أمّا أهالي المخيم الذين تضررت بيوتهم، أو الذين يخشون من تضررها جراء الهزات الارتدادية المستمرة منذ لحظة وقوع الزلزال، فقد لجأوا إلى خيم وأماكن إيواء أعدّتها جمعية الهلال الأحمر الفلسطيني، داخل الملعب التابع للمخيم.

كذلك مخيم حندرات، ثاني أكبر تجمع فلسطيني في حلب، فقد نجا من سقوط الضحايا، واقتصرت فيه خسائر الزلزال على الأضرار المادية الجسيمة التي طاولت البيوت والبنى التحتية، حيث انهار قرابة الـ23 منزلاً. وقال هلال لـ«الأخبار»: «كوادرنا لا تزال على الأرض في المخيم الذي يقطنه حوالي ألف فلسطيني وتعمل على مساعدة المتضررين، ونقلهم إلى أماكن الإيواء المؤقت، إضافة إلى تجهيز كرفانات لاستقبال الفارين من المنازل المتصدّعة»، وأشار إلى أن تداعيات الزلزال وأضراره وصلت إلى مخيم العائدين في حماه، حيث تسببت الهزات في تضرر وتصدع عدد من البيوت داخل المخيم، حيث عمل الهلال الأحمر الفلسطيني على نقل سكان البيوت المتضررة إلى مراكز إيواء مؤقتة، تم افتتاحها في المخيم إضافةً إلى تجهيز كرفانات لاستقبال الفارين من المنازل المتصدّعة، موضحاً أن حوالي ألف لاجئ فلسطيني يقطنون المخيم.

سفارة دولة فلسطين لدى سوريا، أعلنت أيضاً في وقت سابق، قضاء ستة من أفراد عائلة أبو راشد الفلسطينية تحت الأنقاض في مدينة جبلة غربي البلاد. أمّا مخيم اليرموك جنوب العاصمة السورية، وأكبر المخيمات الفلسطينية في سوريا، وأكثرها دماراً بسبب الحرب السورية، فهو الآخر تداعت فيه بعض البيوت التي أنهكتها العمليات العسكرية على مدى سنوات (منذ نهاية عام 2012 وحتى الشهر الرابع من عام 2018)، لتأتي الهزة الأرضية التي خلّفها الزلزال، وتسبب بانهيار عدد من الأبنية الآيلة للسقوط أساساً، من دون تسجيل أي ضحايا، فغالبية أبنية المخيم، إمّا مدمرة أو مهجورة منذ سنوات، مع وجود أعداد قليلة من السكان الذين يتوزعون في مناطق متفرقة من المخيم.

نداء إلى المجتمع الدولي

بدورها أطلقت «الأونروا» نداءً خلال الأيام الماضية، إلى الدول المانحة بحاجتها إلى 2,7 مليون دولار لدعم حوالي 57 ألف لاجئ من فلسطين تضرروا من الزلزال في سوريا، وفي المناطق التي يمكن الوصول إليها من دمشق، مشيرة إلى أن قوافلها تحركت مباشرة عقب الكارثة لتقديم المساعدات. وناشدت الوكالة، في بياناتها، المجتمع الدولي، بالتحرك الفوري وتقديم المساهمات المالية في ظل خطورة الوضع القائم وارتفاع أعداد الضحايا، والمرشح للازدياد في الفترة القادمة، موضحة أن المخيمات والتجمعات السكنية التي يعيش فيها اللاجئون الفلسطينيون في عموم سوريا تهدّم جزء منها وتصدّع الجزء الآخر وهي تحتاج إلى إعادة بناء وتأهيل، ولا سيما أنها متضررة بفعل الحرب والقصف.

من شقوق الإسمنت والثلج

وليد عبد الرحيم

[إلى روح سامي العلي، 13 عاماً - تحت الركام، قرب الحدود]

في خروجه الأوّل، عندما كان يتعلّم المشي بين القرى، والقفزَ بين كثبان الحدود، اندلعَ فيهِ بحثٌ عن ضَوء يُراعِهِ كي تدُلَّ أمَّهُ على نافذةٍ مُثلى لاختراقِ الحدودِ، خارجَ احتمالاتِ موتٍ ما أو أزيَز رصاص، ما كان وقتها يدرك من أسباب الحدود شيئاً سوى شِجار أختِه الكُبريَيْن على مساحة حدود منتصف السرير لتندلع حرب الوسائد.

لقد قرأ ذاتَ كتابٍ مدرسيٍّ ملون، بأنَّ الضوءَ اكتسابٌ قُدَّتْ ملامحه من دهشةِ الماءِ الـزُّلال، وأن اللون شكل هندسي مُقتبسٌ من ماء بئرِ العدالة، هو اقتباس ما، لنورٍ ما بعد سيف الظلام الطويل المُشهَر على عُنقه، السيفُ ذاتُه الذي طار عالياً كغُرابٍ زاعقٍ بالشؤم، ورافقهُ فوقَ الحدود كأنَّما هُو ظلٌّ له، وكأنما هما -السيف الدامي والحدود- في تلازُمٍ حَبكةٍ روائية دائمة الحضور في الأرض وربما في السماء.

متى ينتهي الفصلُ الأخير؟

متى ستكتملُ الرواية؟!

في حُدودِه القُصوى يكون الأمرُ حُلُماً، ظنُّهُ بحثاً فَصيحاً عن بدايات جديدة، عن طُرقٍ تجتازُ إشارات المرور وقُبَّعةَ الشُّرطيِّ المُرتشي، حيث تنتفضُ المقامات الشواذ، حيث تنتحر الحقيقة لتُدينَ الحروفَ وتقدّس أسرابَ النُّحاة وشيوخَ البغاء.

في مَسيرِه من مخيم في حلب إلى مخيم في حلب، رأى في طريقه انتباهات الحقول القُطنيَّة البيضاء، لأول مرة يرى قطناً ينمو على ثلج الرؤوس الشاهدة حيث لا شمسَ ولا ثلج يُذكر، لأول مرة يختفي خلف ظل شجرة، مُجرَّدُ ظلٍّ كي يحتمي بتلابيبه من رصاصِ قبيحي الوجوه المتلئين بشهوة القتل ورغبةِ الموتِ وموسيقى الزلازل.

هل شربتَ الحليبَ يا سامي؟

بدتْ لها في الأفق تباشيرُ صلاة الفجر، لكنها لم تُكمل جملتَها حتى صار كوب الحليب خارج المبنى دون المرور بنافذة قَطُّ، فقد أضحت كلُّ الجدران نوافذَ. خلال ثوانٍ قليلة كان التباس الهندسة أسرعَ من لمعة التفكير بما يجري، حينها، هَبَّ قافزاً من سريره المائل كي يحتمي بثوب أمه وبرشقاتِ الحليب التي طارت ببياضها كحمامة زاجلة.

كاذبون هم الكبار حين قالوا بأن كوباً واحداً من الحليب في الصباح سوف

> **خلال ثوانٍ حطَّ الرُّكامُ على جسدي كأنما هو كيسٌ طحين المساعدات المثقوب عمداً كي يسرق منه الموزعون نصفه بحنكة غبية**

يجعلني قوياً. كاذبون هم الساسة، إذ قالوا لأمي وهي تصرخُ على البقاء، أن اذهبي فلا موت يصلُكم هنا، لم يقل الشيوخُ في المخيم السابق بأن الرصاص والقنابل وحدَهُما يختصان بابتكار الموت، ولا قيلَ في المخيم اللاحق.

طوال الطريق سيّراً، وكان عمري أربع سنوات، لم تقل أمي يومها سوى كلمات قليلة عن صفحات الرحيل، ونحن نجتاز الحواجز والتلال وبالسيارتِ المُفخّخة، وقد أطلق النارَ علينا كلُّ مُرتدي القُبّعات باشكالها وألوانها المختلفة الذين يختلفون ظلٌّ كل شيء إلاّ قتلنا، وما إنْ وصلنا نحن الأشخاص الستة -ربما يجب أن أخبركم بأننا كنا قد انطلقنا بعددٍ لا يقل عن سبعين، فقد قُتل الباقون على طريق النجاة الواهمة- حتى بدتْ لي أمي مثل المُذبح والشيخ وحمَلةِ السلاح والمهربين وشُرطة الحدود، كاذبةً مثلهم، وهي ذي لم تترك لي طرف ثوبها فطارت مثل منشفة صغيرة من على حبل الغسيل وبقيت وحدي.

سوف أشتكي عليهم جميعاً حين ألتقي بربِّ العرش العظيم، لن أترك أياً منهم، سأقول له بأنهم تركوني جميعاً نائماً في العراء، وهم مشغولون بالغنائم، ثم استضافونا في خيام صُممتْ كي تطير على وقع الثلوج والرياح الحدودية فعُدنا للعراء مرة أخرى كما في كل مرة، والآن أعود مجدّداً، أهبط مثل قطة جارنا الأعمى عندما كانت تلاحق فأراً صغيراً، أحاولُ اللحاقَ بثوب أمي وكوب الحليب وصرختِها التي لم يسمعها سواي بفعل اندلاع دَويجيج النوافذ والحيطان والأبواب الطائرة.

خلال ثوانٍ حطَّ الرُّكامُ على جسدي كأنما هو كيسُ طحينِ المساعداتِ المثقوب عمداً كي يسرق منه الموزعون نصفه بحنكة غبية، أظنُّ بأن يدي اليسرى المهروسة مبتورة تحت تلك الكتلة الإسمنتية التي تزن أكثر من باصين مليئين بركّاب حلب-طرطوس، وقد ذاب أنفي بالثلج وسقط، وأنا أنتظر ذوي القبعات بأيٍّ من ألوانها، لكنني لفظت غبار أنفاسي ولم يأت أحد.

كان يبحث، ظلَّ يبحث، سريرُه غاص في شقوق الأرض والمطر، وعلقتْ قدماهُ في صلابة الإسمنت المسلح، هو ذا يبحث عن صرخة النجاة حتى غاص في وحلها عميقاً، في ذلك الأخدود بين صورةٍ سقطتْ عن الجدار وجدار سقط داخلَ الصورة.

أنا سامي محسن العلي، أشكوكم لله جميعاً، من هنا، وأنا تحت جبل الإسمنت الصلب هذا، وأعدكم بأنني سأطلب من الله محاسبتكم جميعاً فوز وصولي إليه، هناك في عالم الضوء، حيث لن أرى كل أنواع الكاذبين وتجار الزلازل.

مخيّمات لبنان... لا مكان للفرار!

حنين رباح

رغم الرعب الذي تركه الزلزال الأول الذي ضرب سوريا وتركيا، وشعر به ساكنو لبنان، إلا أن الخوف سيطر على المشهد، بعد بضعة أيام مع توالي الهزات الارتدادية، وبعد الهزة التي ضربت لبنان، وكان مركزها الأراضي اللبنانية، والتي شعر بها معظم السكان وبدأت الأخبار الصحيحة منها والمفبركة بالانتشار كالنار في الهشيم.

هذه الأخبار تسرّبت إلى أزقة المخيمات الفلسطينية في لبنان. وتضاعف الخوف مع تداول بعض التصريحات التي تعود إلى اختصاصيين يعبّرون عن مدى حساسية الوضع، واحتمالية وقوع زلزال آخر في لبنان نتيجة الإرشادات تقول، إن الخروج من المنزل ممكن أن يحمي الأشخاص في حال الزلزال، وتدمير المنازل، ويجب الخروج إلى الشوارع الواسعة التي لا تحيطها أبنية، وهذا المشهد بعدَ مستحيلاً في أيّ من مخيمات لبنان، حيث توجد أزقة بالكاد يمكنك أن تمر بمفردك بها. رغم هذا الضيق، إلا أن أهالي مخيم البداوي وجدوا طريقهم إلى الهرب نحو ملعب المخيم، حيث خرجوا ملتحفين البطانيات.

المخيم... المنطقة الأهش

لا مفرّ من الموت هنا إن أتى. فالمخيمات هي أضعف البقع وأكثر المناطق هشاشة على الأراضي اللبنانية، مع كثافة سكانية كبيرة مقارنة بالمناطق الأخرى، نتيجة عدم توفر مواد البناء منذ سنوات في المخيمات، ما يجعل عملية البناء ضعيفة وغير مجهزة لتحمّل الزلازل. بعض الأبنية في المخيمات، بحسب عامل البناء محمود كريّم، مبنية من دون أعمدة أو دعامات، وهي على عدة طوابق. وقد تضرّر العشرات منها في مخيم برج البراجنة بحسب أهالي المخيم. وأصبحت هذه البيوت، اول من يخرج سكّانها عند سماع خبر الهزّات. وفي مخيم البداوي، يظهر جلياً تضرر أحد المباني الذي كان وجود فالق «اليمونة». هذا الفالق الذي كبر أهالي مخيم «ويفل» الجليل وهم يسمعون عنه، والطفل فيهم تربى على معلومة أن سلسلتي الجبال في لبنان، في الأصل هما جبل واحد أدى زلزال إلى انشقاقهما.

المخيمات هي أضعف البقع وأكثر المناطق هشاشة على الأراضي اللبنانية، مع كثافة سكانية كبيرة مقارنة بالمناطق الأخرى، نتيجة عدم توفر مواد البناء منذ سنوات

هرب من الموت

تمسك الطفلة ميرا قطتها وتحملها معها أينما ذهبت في المخيم، بعدما علمت بأن القطط تشعر بالزلازل قبل البشر. لا أمان في المخيمات. يقرأ أبو سامر، الذي يملك دكاناً في مخيم شاتيلا، الإرشادات التي وُزّعت عبر مواقع التواصل الاجتماعي ويضحك ساخراً: «نحن هون جوا وبرا ذات الشي، بالشارع كانك قاعد جوا الدار». هذه يعاني من تصدّعات سابقة.

بلد على خط زلزال، لم يستثقل بعد على احتمالية الكارثة التي من الممكن أن تحل بساكنيه، فكلّ الاحتمالات واردة من زلزال أو ربما «تسونامي». فما هي خطة المخيمات في بلد لا يملك خطة لنفسه في مواجهة الكوارث؟

يرى مسؤول وحدة التدريب في الدفاع المدني الفلسطيني في مخيم برج البراجنة باسم نصّار، أن فريق الدفاع المدني على جهوزية كافية من حيث التدريب، إذ تلقى العديد من الدورات على الكوارث الضخمة، إلا أنه غير مؤهل من الناحية العملية، بحال ضرب لبنان زلزال مدمّر، فالمعدات التي يمتلكها لا تتعدّى تلك التي تحمل بالبيد، أي لا وجود لجرافات أو حاملات أثقال أو غيرها من المركبات المهمة في عملية رفع الأنقاض. وبحسب نصّار، «في حال وقعت الواقعة، الدفاع المدني في المخيم لا يملك سوى سيارة واحدة للإطفاء وسيارة أخرى للإسعاف».

مساعدات بـ«اللحم الحي»

رغم كل ما يعانيه المخيم من ضعف في الإمكانات، إلا أن انقاض سوريا حطّت على أكتاف الشباب في المخيم، إذ سارع الدفاع المدني الفلسطيني إلى الطلب الرسمي من السفارة السورية لدى لبنان التوجه إلى سوريا، وتقديم المساعدة هناك، جرّاء الزلزال. ويكاد لا يخلو رقم هاتف للاجئ فلسطيني في لبنان، من عرض رسالة تتضمن جمع التبرعات للضحايا والمتضررين في سوريا. توزّعت حملات التبرع بين منظمة وفردية، قام بها الأئمة في المساجد وأصحاب الجمعيات والتجمعات الشبابية الثقافية، وصولاً إلى المبادرات الفردية، من توفير مال وألبسة. غرقت المخيمات بالبسة، ليست فائضة كما يعتقد البعض، هناك من خلع ثيابه ليرسلها إلى المتضررين من الزلزال. هو شعور المهجّرين من أرضهم عبر السنين بمن يشاركهم الشعور نفسه اليوم جرّاء الزلزال.

مساواة في الموت والخوف

زاهر أبو حمدة

..وأنت تقلب «الريلز» في الهاتف، هروباً من واقع أو تسلية ليمضي الوقت، هناك من يلفظ أنفاسه تحت الركام. وأنت متسمّر أمام التلفاز بحثاً في القنوات للترفيه، كثير من الناس توقف ضخ الدم في عروقهم بسبب البرد أو لتوقف الدورة الدموية. ونحن نصحو من فراش دافئ، آلاف ناموا تحت ما كانت بيوتهم، وهي نومتهم الأخيرة. وهم يعدّون الأموات والخسائر، ويفتشون عن ناجين محتملين، كانت وسائل إعلام تهرّج في برامج منوّعات، ورجال أزمات يبحثون عن الربح، ورجال سياسة يحسبون المصالح. هي الكارثة بوجهها المكلوم المحروم المظلوم، وآخر براق ضاحك طامع.

لا تفرق الطبيعة وظواهرها بين الوزير والغفير، الحاكم والمحكوم، الموالي والمعارض، الظالم والمظلوم، المريض والطبيب، الفقير والثري، المدني والريفي... لكنها تقسم الأحياء، البعيدين والقريبين بين متضامن بقوة، وآخر لا يعنيه الأمر. هكذا فعلت دول وحكومات ومؤسسات وجماعات وأفراد. وهنا لا مساواة في الأمرين. فكيف يمكن أن نغفر لدولةٍ تملك المال والقدرة عدم تدخلها العاجل؟ أو كيف يمكن مسامحة عالم دين تذكّر الآن الذنوب والمعاصي، قبل أن يذكّر الناس بضرورة المساعدة؟ وكيف يمكن نسيان الليلة التالية من زلزال شرق المتوسط، وقناة لبنانية تعرض برنامجاً هزلياً فيه أضحوكات حول الهزات الارتدادية؟ هل بعد عام حين تحلّ الذكرى السنوية للزلزال يمكن تذكيرهم بما فعلوا؟ أم الأمر غير مهمّ؟ تكمن أهمية الإجابة أو التفكير بها على الأقل، بأن «الدنيا دولاب» وما حصل في سوريا وتركيا، ربما يحدث في أماكن أخرى. حينها سيطلبون الدعم والتضامن والتعاطف، ولا يُعرف كيف سيكون موقف أصحاب الكارثة حالياً؟

***

صحيح أن الصفائح التكتونية لم تسأل الضحايا عن مواقفهم السياسية ومكانتهم الاجتماعية، أو عن أعمارهم وطموحاتهم، أو عن أموالهم المنقولة وديونهم وميراثهم. لكنها وضعتهم في الاختبار الأقسى: هيا صارع لتبقى على قيد الحياة. هنا النجاة واحتمالاتها، لها طابع فيزيائي مرتبط بالمكان والباطون وصلابة العمران،

> **كيف يمكن أن نغفر لدولة تملك المال والقدرة عدم تدخّلها العاجل؟ أو كيف يمكن مسامحة عالم دين تذكّر الآن الذنوب والمعاصي، قبل أن يذكّر الناس بضرورة المساعدة؟**

(صهيب عمرانية)

واهتزاز الأعصاب البيولوجية. المفرّ يحتاج إلى الكثير من القدر والحظ، ويحتاج في الأصل إلى رؤية للدولة. وفي المحصلة العامة، هي تجربة الموت أو الهروب منه. وما يميّز هذه التجربة أن المساواة موجودة فيها. فمن لم يجد المساواة أو العدل طوال حياته، يمكنه تلمّسها بقوة الزلزال، وانتشاره جغرافياً من دون تمييز اجتماعي وسياسي. ربما هذا منطق فلسفي ينطوي على العدل الإلهي، لكن جميع من لم يشعروا بمساواة الموت، أحسّوا بمساواة الخوف ولو كان بدرجات مختلفة.

***

سالفاً، لم يكن مهماً كثيراً، إن كان لسانك تركياً أو عربياً أو كردياً. كذلك لم يكن العرق أساسياً في اليوميات البشرية. جمعت الجغرافيا الأقوام ووحّدهم الدين طويلاً. أتى «سايكس بيكو» ففرّقهم إلى دويلات وجنسيات، وأقام الحدود بينهم. أعاد الزلزال المساواة المنطقية التاريخية، ولم يهتمّ بالتقسيمات الإدارية والعشائرية. كذلك المصيبة أصابتهم جميعاً، فلم يفرّق الموت بينهم. ولعلّ هكذا مساواة من الطبيعة تعيد الوئام إلى منطقة تنزف دماً منذ أكثر من عشرة أعوام.

الأخبار
al-akhbar
السبت 11 شباط 2023 العدد 4847

صورة وخبر

متطوّعان في الدفاع المدني اللبناني يستريحان بعد مشاركتهما في عمليّات الإنقاذ في سوريا، أوّل من أمس. فريق الدفاع المدني اللبناني عاد أمس إلى لبنان بعد مرور بضعة أيّام على التحاقه بفرق الإنقاذ الدوليّة والمحليّة لتقديم المساعدة في المناطق المنكوبة. وقد استطاع متطوّعوه إنقاذ وإسعاف بعض الضحايا العالقين تحت ركام المباني المهدّمة في تركيا وسوريا، علماً أن مهامّ الإغاثة ورفع الركام لا تزال مستمرة حتى الآن في جميع المناطق التي طالها الزلزال المدمّر في السادس من شباط (فبراير) الحالي.

(لؤي بشارة - أف ب)

ما يبدو لنا ثابتاً، هو قابل للاهتزاز على الدوام. اهتزاز قد يصيب الهياكل البرّانيّة، إنّما يفسخ المعنى ويصدّع معجمه.

في «اين؟»، العدد الثاني من ملحق «إنما»، تتقفى المقالات التالية المنشورة على الموقع الإلكتروني التحوّل الدائم في معنى «المكان»، تنطلق من سؤال «اين»؟ الذي يرسخ مشروعيّته والحاحه على هذا الاهتزاز نفسه.

فهرس

- الافتتاحية أين؟
- طرقات شريدة
- المكعّب الابيض كفضاء مزدوج
- في العيادة النفسيّة... المكان الماهول
- داخل المرحاض... «خارج» العالم
- المكتب بوصفه رحماً سلطويّاً
- المقبرة: طقوس السكون
- قاعة السينما: بوابة الاحلام
- الشاشة كبيت
- طرف صناعي في جسم بيروت
- زمكان

إنّما
ملاحق مناورات كتابية أسبوعية

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين

مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص. ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com

الأخبار
al-akhbar

السبت 11 شباط 2023
العدد 4847 السنة السابعة عشرة
Samedi 11 Février 2023 nº 4847 17ème année

كلمات
ملحق أسبوعي
www.al-akhbar.com

(ليز غودير)

لـور غريّب

طفلة بيروت ثابتة على جدران الفنّ والذاكرة

ريما النخل

قبل الفنّ وصولاتها وجولاتها فيه، كانت لور غريّب (مواليد دير القمر1931 ـ 2023) تتحلّى بروح الدُعابة التي تُشيع الضحك والفرح حيثما حلّت بين الأصدقاء. روحٌ جميلة احتفظت بها حتى أيّامها الأخيرة. هل أُصيبت بيروت بغيبوبة ثقافية؟ يرحل كبارها تباعاً ولا يلتفت أحد إلى رحيلهم. بعد غياب الفنانة ميراي حنين، والرسّامة يولاند نوفل، ها هي لور غريّب تودّعنا بصمت كأنّ المدينة طوت صفحةً من تاريخها كمختبر طليعيّ للثقافة العربية. تنتمي لور غريّب (رفيقة درب الممثل الكبير أنطوان كرباج) إلى رعيل الستينيّات. فنّانة عصاميّة، حرّة، مختمرة القدرات التشكيلية التي تتوازن فيها «الشطحة» الخياليّة والحرفيّة العقلانية. أعمالها التخطيطيّة والتنقيطيّة (العديد من لوحاتها منجز بأسلوب التنقيط، أي نقطة نقطة حتى ينقطع النفس) تنطوي على رؤية ناضجة. تفاصيل منمنمة تستلزم صبراً وجَلَداً كبيرين، وكانت لور تملكهما. الحبر الأسود مادتها، والريشة طَوعَ يدها، تُرسل إشارات عاطفية، في حوار مع تراث الخط العربي. لطالما سعت لور إلى هوية عربية للوحتها، على خُطى سعيد عقل. خطوطها المنقّطة غير ثرثارة، إنّما في الوقت عينه لا تُختزل. أسلوبها مكثف وغنيّ بالتفاصيل، كريشة أو قلم معماريّ مبلّل اليد بعرق الحرفة، وغالباً ما تبدأ من نقطة لتصل إلى تكوينات مجدولة بعصب وعضل وبنيان أسطوريّ من ذاكرة «ألف ليلة وليلة».

رسمت بالفحم أيضاً وبالألوان الزيتيّة على قماش، أو كانت تكتفي بالحبر الصينيّ الأسود كونها من جيل حفظ الأسود والأبيض في الكتب وعبر شاشة التلفزيون. لكن في المرحلة الأخيرة، راحت تتفلّت من أسر تقنيات الماضي وأساليبه كأنّها أرادت لنفسها حرية متجدّدة، مشاغبة أحياناً ومستفزّة، عبر إقحامها الخيطان الملوّنة والصور والكولاج في لوحتها. وثمة دائماً ما هو مبهم في أعمالها، ليس لناحية الشكل فحسب، بل لناحية المدّ والجَزر والفراغات المثيرة تحديداً.

دوائر حلزونية منقّطة لا تنتهي، كمحاولة بحسب تعبيرها «لإدماج عالم لم أتمكن من الاندماج فيه، غير أنني أدمجه في عالمي الخاص». يواجه النقّاد صعوبة في الكتابة عن لا نهائية اللوحة لدى لور وهي أقرب إلى فنّ الأرابيسك، المُغلق على التفسير. كنّا نرى في المرحلة الأولى من تجربتها الفنيّة كتلاً داكنة وخطوطاً عريضة، إذ كانت تخشى الخط الرفيع وأخطاءه الظاهرة. كأنّما كانت تتهيّأ في بداياتها لتحرير الخطّ والنقطة كي ينفلشا على سطح اللوحة بلا خوف أو تردّد، إذ باتت تملك سيطرةً عليها.

كانت شديدة القُرب من عالم المثقفين في زمن بيروت المتألّق، فكانت تحضر لقاءات مجلّة «شعر» وربطتها صداقة بمؤسّسها يوسف الخال وشعراء المجلة، حتّى إنّها غامرت شعريّاً وأصدرت مجموعة أولى بالفرنسية عام 1960 تحت عنوان «أسود الزرقات»، أتبعتها بعد خمس سنوات بمجموعة قصصية بعنوان «إكليل شوك حول قدميه»، وأرفقت قصصها برسوم بالأسود والأبيض. وإذ كانت تمتلك لغتها الفرنسية، فقد ترجمت بعض القصائد العربية إلى هذه اللغة ونشرتها في «لوريان» ثمّ شقت طريقها إلى الصحافة في «لوجور» (اللتين انضمتا لاحقاً وأصبحتا «لوريان لوجور»). ومن هناك انتقلت إلى صحيفة «النهار» ناقدةً في قسمها الثقافي تحت إشراف الشاعر شوقي أبي شقرا الذي عرفته من أيّام مجلة «شعر».

شاركت في العديد من المعارض الجماعية، ثمّ قدّمت أعمالها في معارض منفردة، خصوصاً في «غاليري جانين ربيز»، فيما أقامت ثلاثة معارض مشتركة مع ابنها الفنان مازن كرباج بين عامَي 2001 و 2015 . يحفظ كلٌّ من «متحف سرسق» والمتحف البريطاني و«مؤسسة سارادار» أعمالاً لها ثابتة على جدران الفن والذاكرة. من نقطة البداية إلى نقطة النهاية، رسمت لور غريّب خطّاً ودرباً مشَتْهُما بتأنٍّ وإبداع.

تُقبل التعازي اليوم السبت ابتداءً من الساعة الواحدة ظهراً لغاية السادسة مساءً في صالون «كنيسة سيدة العطايا» (الاشرفية).

من قلب الزلزال

شهادات مبدعين في توصيف الكارثة والفجيعة

يا سوريا الوحيدة... «قلبي مليء بالموتى»

كان ما ينقصنا كسوريين زلزال مباغت، كي تكتمل المأساة فوق هذه الخشبة المهتزّة منذ أعوام. لا يحتاج الضحايا إلى أكفان وادعية، فقط إلى إسمنت مسلّح وحديد واستغاثات. أدرع تستنجد تحت الركام والأنقاض. ووجوه منهوبة من الفزع. مشردون بلا منازل، وموتى لم يكملوا منامَاتهم. جيولوجيون يحذّرون من زلازل أخرى وارتدادات. تصال إلى عاصمة اللام، الألم بدرجة سبعة وما فوق بمقياس ريختر. كانت سنوات الحرب والقسوة والحزن مجرّد بروفة أولية للقيامة. كان أنياب الحرب وحدها لا تكفي لوشم هذه البلاد بالعنة الأبدية. كان القتل المتسلسل للأرواح، لم ينجز المهمة بنجاح، لياتي الزلزال بطاقته القصوى، ويُطيح من نجا من الموت تحت القذائف. هنا في البلاد المنكوبة، ننتشل الضحايا، ونخشى النشالين. أولئك الذين حملوا دمغة نهّابي الحرب. وها هم يستيقظون على وليمة دسمة من الغنائم بورديات عمل إضافية. كانت الزلازل تقع بدرجة ثلاثة أو اربعة ريختر بما يكفي لان يهتزّ سرير في منتصف الكابوس. وان تُزاح خزانة سنتمترات قليلة عن الحائط. كنوم من المزحة العابرة. فنخيف الى التقويم يوماً آخر بقهوة مرّة. ونوبة كآبة تبقى تحت السيطرة. كما نخفّ. لكن المشهد هذه المرّة. كان اكثر قسوة. واكثر كابوسية. مما يحتمله الكائن. فمفكرة 6 شباط (فبراير) لا تشبه ما بعدها لجهة الاسى. هنا فالق صخري في الراس يصعب نسيانه. صور سريالية عصية على الفهم. ومشهديات مرعبة. غير قابلة للمحو. كما لو انا ازاء متحف للانقاض. يشر عالقون بين الموت والحياة. اطفال بلا سلالات عائلية. لا اوكسجين يكفي لاكتمال دورة الشهيق والزفير. اوراق نعي جماعية لتوطين الالم. وخيمة عزاء مفتوحة ليل نهار. تصدّعات في القلوب والجدران والقلاع (انهيار البرج الغربي لقلعة حلب). تشققات في الضمير العالمي. وشروخ في الإنسانية. لكن مهلاً. نحن لم نختبر الطوفان. على الارجح ستحتج قشرة الكوكب على الاثام التي لطّخت اديمها من «معاصي العباد». فكان على الثوران يحرّك قرنيه غضباً. يضيق المعجم بمفردات الكارثة. إذ لم يختبر النحاة مثل هذا الجحيم قبلاً. فحركة الزلزلة اليوم ليست «رجفة». او «انتفاضة جسد المحموم». إنما مزيج من الرعب والقلق والهزيمة. لهذه الاسباب. يفشل النحويون في إعراب جملة مفيدة تخصّ مثل هذه الفجيعة. ذلك ان هذا الدرس اكثر إيلاماً من نداء ابي العلاء المعري «خفف الوطء ما اظن اديم الارض إلا من هذه الاجساد». الان سنجد صعوبة في إعراب جملة من طراز: «مات تحت الانقاض بسبب إسمنت مغشوش. ونداءات مكتومة. ومقاول ضبع/ جشع. وسخط الطبيعة». وايضاً اعرب ما يلي: «دع الموتى يدفنون موتاهم». «واخرجت الارض اثقالها». الان وغداً لا نحتاج إلى مجلدات ابن كثير في وصف زلزال 1759. وما تلاه من نكبات. فلدينا ما يفوق الوصف. وفائض النحيب. وخشونة الفقدان. زلزال النزوح إلى الشمال يتلوه زلزال اشدّ هلاكاً وفتكاً. فليس للسوري إلا العاصفة والتيه والموت في العراء. سنستنجد موقتاً بعبارة وديع سعادة «كل الضحايا إخوتي/ قلبي مليء بالموتى. ولا اعرف اين ادفنهم». هنا شهادات مرتجلة كتبها مبدعون سوريون من قلب الزلزال في مدوناتهم الشخصية. بوصفها ارتدادات اولية في توصيف الكارثة. وحرائة الفجيعة.

تقديم وتحرير **خليل صويلح**

1- مشلوحاً في العراء الكوني

نزيه ابو عفش *

حين يَتصوّر «السوريُّ» من الألم، لا يحزن لألامه أحد. حين يبكي السوريّ، لا تتلألا بارقةُ دمعٍ في عينِ أحد.

حين يسيلُ دمُ السوريّ، لا تَطلعُ تنهيدةُ اسى من خَلقِ أحد.

بل حتى حين يفعلُها السوري ويموت، لا يأبه بجثمانهِ أحد؛ يتركونه مشلوحاً في العراء الكونيّ كي لا يعترفوا به «بَشراً» ويكونوا شهوداً على موت إنسان.. إنسان كانوا هم قتلَتَه أو شركاءَ في قتله. لكنّ، بعد أنْ يتمّ دفنُ السوريّ، يجعلون من سقف قبره منصّةً للنواح والتباكي على ما آلت إليه العدالةُ والحريّةُ وحقوقِ الدابّةِ – الـ. إنسان.

حين يموتُ السوريّ في الصمتِ، ويُقبر في الصمت، لا أحدَ يعرف (لا أحدَ تعنيه معرفةُ) أنّ قلبَ العالَم – ذاك الذي كأنما قلبُه بين أضراسه. صارَ مهَدّداً بالاقتلاع، بلّ أصبح مُستحِقّاً له.

* شاعر

2- هندسة الموت تحت الانقاض

اسامة اسبر*

-1-

ليست الزلازل من يدمّر ويقتل فحسب. إن من يمهد الطريق لفتكها الأشدّ، مهندسون يمررون كرة الخديعة كي يسجلوا هدفاً في مرمى الفقراء، ومتعهدون يدبرون فريق الخداع، وقضاة تصطبغ ثيابهم بالدم، ومحامون ينحازون إلى صف المجرمين.

-2-

مدننا مصابةٌ بأمراض مزمنة، أحدها التورم الخرساني السرطاني القائم على أسس واهية، ولهذا نشعر أننا نعيش معلقين في الفراغ، ودوماً على وشك السقوط.

-3-

لا توجد إنسانية صرفة تجمعنا على ما يبدو، حتى المساعدات للمنكوبين تحت راية ما يُسمى بالتدخل الإنساني يُشاع أنها تتم داخل معادلة: معي أو ضدي.

-4-

ينهار البناء كأن تدميره مدروس. يتقوّض بعينه ضمن دائرته الهندسية كأنه اختير كي يُدمّر، ويتداعى ساقطاً لوحده على من فيه، كما لو أن الزلازل تقصف بصواريخ موجهة. هل هذه مصادفة؟ أم أن الموت ينتقي؟ أم أن العشوائية العمياء والمدمرة تأخذ أحياناً شكلاً منطقياً؟

-5-

نخسر أصدقاء مقربين وأشخاصاً لا نعرفهم، ونعلن تضامننا مع الذين علقوا تحت الأنقاض. إنهم ينتظرون تحت إسمنت وجودنا المفتت، تحت أنقاض حياتنا اليومية، عالقين هناك والأمل بأن تُفتّح فجوة ويبزغ ضوء وتعاود الحياة وصل شرايينها المقطوعة يحوم فوق المشهد كطائر مذعور.

-6-

سكنت في غرف وشقق في دمشق كانت كلّها على القائمة السوداء للزلازل. هزّة بسيطة في قشرة الأرض كانت كافية لتحويلها إلى أنقاض، فكيف سيكون الأمر إذا حدث زلزال قويّ؟ لا شك أنها ستتحول إلى ذرات لا مرئية في ريح الدمار. نعيش حياتنا دوماً على شفا جرف هار، ونتوهم أننا سعداء.

-7-

لا حاجة للتنبؤ بالزلازل وبوقت حدوثها وللجدل الذي لا طائل منه. ما نحتاج إليه هو مهندسون يبتكرون حلولاً معمارية لمواجهة الزلازل وسياسيون يؤمنون بأن السياسة هي في خدمة الإنسان، وأن يكون توزيع الثروة والحياة الكريمة والمنزل الآمن والحرية والدخل الكافي وجواز السفر المحترم البنود الأساسية على أجندتهم الانتخابية

* شاعر ومترجم

3- يا سوريا الوحيدة

المهند حيدر *

يا سوريا الوحيدة
يا سوريا الحزينة كطفلة ضاعت في المقابر
دموعك لا مجيب لها
وصوتك مخنوق في حناجرنا
نحن المرهونون للموت أبداً
وحيدون دوماً
... معك
وأنت دوماً وحيدة

* شاعر

4- نوبات الشهيق والزفير

سامر محمد إسماعيل*

من أين لي أن أعرف أنك كنتِ هناك. على مقربة جسد، ففي العتمة كنتُ لا أسمع سوى حشرجات وأنفاس مذعورة لأشخاص تم قذفهم في غرفة.

كانت أصوات خمش الأظافر للوجوه تتعالى من حولي، وكنت لا أستطيع التفريق بين صوت وآخر. كانت نوبات الشهيق والزفير تعلو وتضطرم كلما اصطدمت الأجسام ببعضها، فتعلو صرخات مرعبة، وتتصاعد في هيجانات مدوية، ثم تسكت دفعةً واحدة. كان الوقت كله ليل، والروائح تتكدس في الممرات الباردة ملطخة بفحيح بشري مروّع.

وحدها يدك العمياء كانت تعرف مقاسات هذه القمصان وترميها علينا، فنستحيل جميعاً إلى طيور.

* شاعر ومسرحي

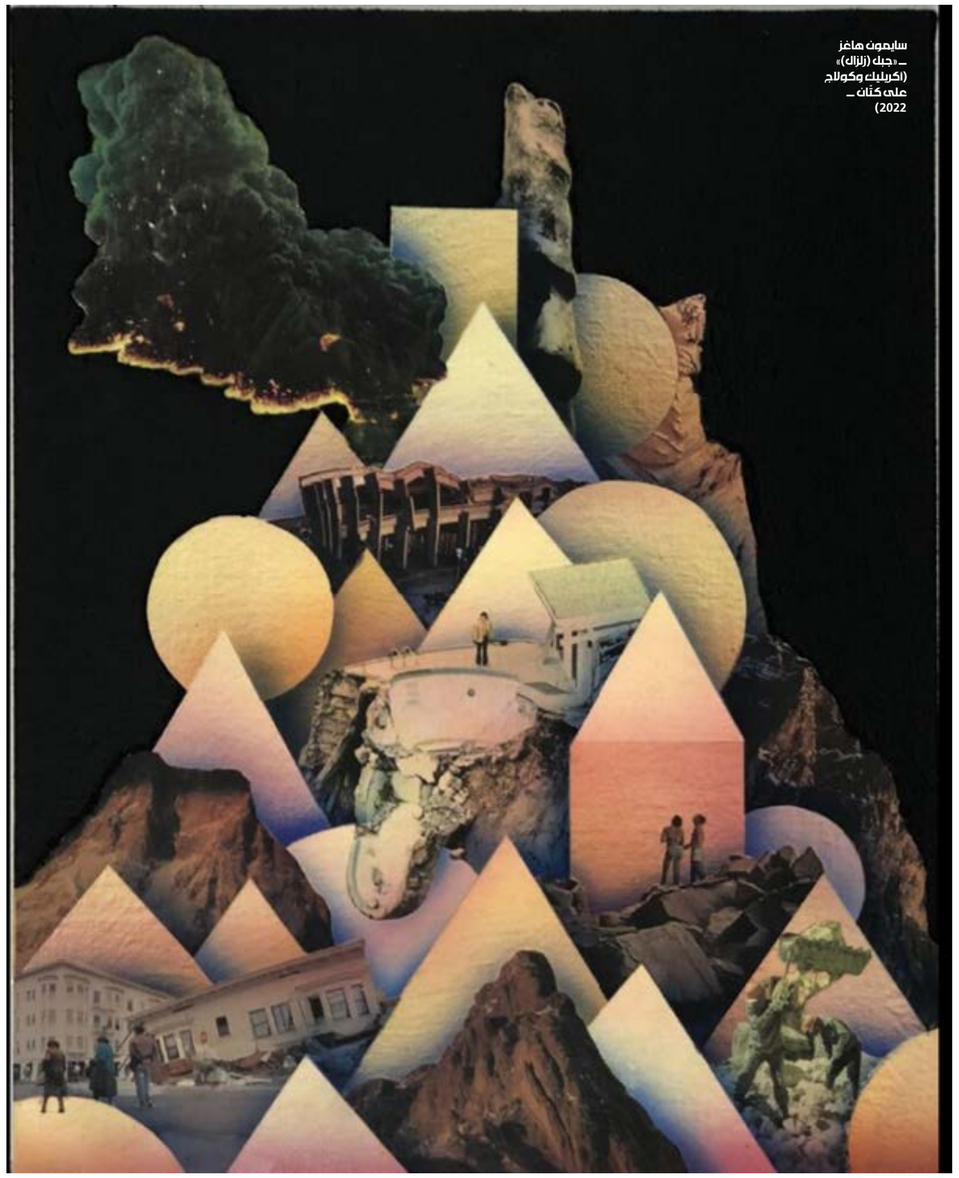
سابمون هاغز ــ «جبل (زلزال)» (أكريليك وكولاج على كتان ــ 2022)

5- هلوسات ما بعد الصدمة

سناء علي *

إن مفردة «زلـزال» وحدها قادرة على هزّ الكيان وإثـارة الرعب في النفوس، فكيف وإذا بـه زلـزالٌ حقيقيٌّ من درجـة مدمرة ينبش البشر من أسرّتهم نياماً في أحضان البرد ليرميهم تحت أكوام من الحجارة والدم والموت؟ ها قد شبنا أيتها الحياة الـغزيرة بالمسرّات ولـم ننل منك قسطاً واحداً يغذّي مخزون الذاكرة للأيام الحالكة التي لم نعرف سواها. اختبرنا كل أشكال القسوة والألم ولا بدّ أن في جعبتك المزيد لتفاجئينا بـه، فنحن وبعد كل ما مررنا بـه، ظننّا أن احتياطك من القسوة قد شحّ أو نضب، أو أننا استهلكنا رصيدنا من التعب كاملاً.

هذه ليست مزحة ثقيلة الظلّ، إنها فقط هلوسات ما بعد الصدمة وأثر تلك الصور الكئيبة التي لم يتكلف العالم عناء النظر إليها حتى لإبداء تعاطف كاذب.

عشرات الأسئلة والحسرات تطوف الرأس بلا إجابات، ودموع ملء الجفون مالحة تحرق الأهداب والقلب، فكيف يا الله نجتاز كل هذا وكيف سينسى أولئك العالقون بين براثن الموت وشهوة الحياة إن نجوا؟ من سيحميهم من صرخات المفقودين بين طيات الرعب والوحشة؟ قد تلهينا الأيام بعد حين ونعود للركض سعياً إلى البقاء وتجسيداً لسنة الحياة وشرطها، لكنّ نفوسنا قد تحوّلت إلى صناديق من الأمل منتهية الصلاحية.

* كاتبة

6- مقام الرصد

باسم القاسم *

وأنا «عقيلُ المنبجيّ» يشاءُ
إكمالَ الموشّحِ
من دمي
قالَ استفقْ عند السكوت
واصحُ بأنقاضِ التجلّي
بين أشلاءِ البيوت...
أذّنَ شمالَ الماءِ
غربَ الشكّ
وانظرْ إلى ساقِ الأنينِ
تكشّفت في لحظةٍ
كم من جدارٍ واشتهى
فيها السجود...
قل ما يفيد ولا يفيد
كم صار شطحك منطق الجبروتِ
في زمنِ التحوت...
أنشد مقامَ الرصدِ
هيّا الآنَ
سَمِعَ.. سكووووت:
يموتُ قيصرُ
فكرُ قيصرَ
لا يموت...

*شاعر وناقد

7- يا للاسى

هاني نديم *

حزانى يهرعون لحزانى
منكوبون ينقذون منكوبين
مفقودون يبحثون عن مفقودين
بيوتٌ شاخصةٌ من الخوف تنظر برعبٍ إلى بيوت قضت
نشيدٌ طويلٌ للموت في براحٍ أصمّ..
يا للحزن.. يا للأسى

* شاعر

8- الطيران فوق أشجار الزيتون

بطرس المعرّي *

وَجَدَ شكري نفسه حبيس مساحةٍ صغيرةٍ من الرُّكام. نظر يميناً ويساراً من خلال عينيْن غطّاهما الرمل والغبار، لكنه لم يرَ سوى السواد. أراد أن يطلب النجدة، ولكنه عدل عن الفكرة: «إن كان لي حظ في النجاة، فسياتي أحد لانتشالي من هنا... ولماذا أخرج أصلاً»!

«من حسن حظي أنني لم أبدّل ثيابي بثياب النوم» قال في نفسه، ثم مدّ يده إلى جيب قميصه وأخرج علبة السجائر والقداحة وأشعل سيجارة: «هذه الـ سيجارة دخنتها في عمري»، قال، ثم أشعل سيجارة ثانية ثم أشعل الثالثة وتركها بين شفتيه ثم وضع يديه خلف رأسه وراح يدندن: درب حلب ومشيتو... كلو سجر زيتوني... آه يا حَيّو...

لم ينتهِ من سيجارته حتى بدا له بالفعل أنه يمشي دربا، وعلى جانبيه تصطفّ أشجار الزيتون، وفي نهاية الدرب رأى فتاةً، لطالما كان يحلم بالفوز بها، تنتظره بفستان أبيض وطرحةٍ تزيّنها ورود صغيرة. وما إن اقترب منها حتى عانقته وبدأت تدور به وهي تضحك حتى ارتفعا عن الأرض. خاف شكري في البداية لكنه ألِف الطيران واحبّه، لا سيما أنه قد رأى أيضاً أصدقاء له يطيرون مع فتياتهم، وكأنهم في عرس جماعي، ويتنقلون ما بين الغيوم، حتى ذابوا كلهم في رحم غيمة أمطرت مساءَ ذلك اليوم أشلاءَ أحلام.

* تشكيلي وناقد

9- موجة تقتلع الروح

أحمد م. أحمد*

وحشةٌ لم أتخيّل أن بشرياً قد يعيشها، بغواء ريحها، وبردها، وانتظار الموت من سقف قد يسحق الجسد، أو موجة تقتلع الروح.

* شاعر ومترجم

إشارات من نصوص الأمس

■ رجفت الأرض رجفة مقلقة

في عام 1173 سادس ربيع الأول، الساعة العاشرة من الليل قد رجفت الأرض رجفة مقلقة برياح عواصف ورعود قواصف، فطاشت لها العقول وحصل والعياذ بالله غاية الذهول وتخلّعت السقوف وتشقّقت الجدران وهُدّمت في الشام بيوت لا تحصى وسقطت رؤوس مآذن دمشق.. وخرب أكثر دور دمشق، ووقعت تلك الليلة سقوف وبيوت لا تحصى ووقعت شراريف الجامع المزيور، وكان طول كل شرافة مقدار 5 أذرع على حائط حول سقف الجامع مقدار قامة من جميع الجهات الأربع.

كمال الدين الغزي ـ «التذكرة الكمالية»

■ زلزلة عظيمة

كانت زلزلة عظيمة ابتدأت من بلاد الشام إلى الجزيرة وبلاد الروم والعراق، وكان جمهورها وعظمها بالشام تهدمت منها دور كثيرة، وتخربت محال كثيرة، وخسف بقرية من أرض بصرى، وأما سواحل الشام وغيرها فهلك فيها شيء كثير، وأخربت محال كثيرة من طرابلس وصور وعكا ونابلس.

ولم يبق بنابلس سوى حارة السامرة، ومات بها وبقراها 30 ألفاً تحت الردم، وسقط طائفة كثيرة من المنارة الشرقية بدمشق بجامعها، و14 شرافة منه، وغالب الكلاسة والمارستان النوري.

وخرج الناس إلى الميادين يستغيثون وسقط غالب قلعة بعلبك مع وثاقه بنيانها، وانفرق البحر إلى قبرص وقد حذف بالمراكب منه إلى ساحله، وتعدى إلى ناحية الشرق فسقط بسبب ذلك دور كثيرة، ومات أمم لا يحصون ولا يعدون حتى قال صاحب «مرآة الزمان» إنه مات في هذه السنة بسبب الزلزلة نحو ألف ومائة ألف إنسان قتلاً تحتها، وقيل إنّ أحداً لم يحص من مات فيها والله سبحانه أعلم.

ابن كثير ـ «البداية والنهاية»

■ تحت الهدم ما لا يحصى

في هذه السنة (549 هـ)، في رجب، كان بالشام زلازل قوية، فخربت بها حماة وشيزر وحمص وحصن الأكراد وطرابلس وأنطاكية، وغيرها من البلاد المجاورة لها، حتى وقعت الأسوار والقلاع، فقام نور الدين محمود بن زنكي في ذلك الوقت، المقام المرضي، من تداركها بالعمارة، وأغار على الفرنج ليشغلهم عن قصد البلاد، هلك تحت الهدم ما لا يحصى، ويكفي أن معلم كتّاب كان بمدينة حماة، فارق المكتب، وجاءت الزلزلة، فسقط المكتب على الصبيان جميعهم، قال المعلم: فلم يحضر أحد يسأل عن صبي كان له هناك في إشارة إلى وفاة أهاليهم.

أبو الفداء عماد الدين إسماعيل. «المختصر في أخبار البشر»

■ الزمان جرّ عليها ذيله

دعاني إلى جمع هذا الكتاب ما نال بلادي وأوطاني من الخراب، فإن الزمان جر عليها ذيله، فأصبحت موحشة بعد الأنس، قد دثّر عمرانها، وهلك سكانها، فعادت مغانيها رسوماً، والمسرات بها حسرات وهموماً، ولقد وقفت عليها بعدما أصابها من الزلزال ما أصابها، وهي أول أرض مسّ جلدي ترابها، فما عرفت داري، ولا دور والدي وإخوتي، ولا دور أعمامي وبني عمي وأسرتي، فبهت متحيراً مستعيذاً من عظيم بلائه، وانتزاع ما خوله من نعمائه.

أسامة بن منقذ ـ «المنازل والديار»

من قلب الزلزال

مختارات شعرية

رحيمةً بنا كوني، أُمَّنا الأرض، وأنتِ تَتَراقصين

لهوميروس، في أوديسته، مقولة مفتاحية حول علاقة الشعر بالألم: «تحوك الآلهةُ فجائع للبشر كي يكونَ للأجيال القادمة ما تُنْشِدُهُ». مقولة تَتَضادى مع تعبير ناظم حكمت: «وَهَلْ مِنْ شَجَنٍ لَمْ تُنْشِدْهُ يَغِدْ؟». وبذلك، تتواشج، خارجَ إطاريَّ الزمان والمكان، العلاقة بين الماساوي والشعري والغنائي. وفجيعة الزلزال التي هزت سوريا وتركيا وجوارهما مناسبة للبحث في مدوَّنات الشعر العربي (والشرقي) الحديث والمعاصر عن هذه اللّحظات الإنشاديّة التي تجاوز فيها الشعراء توثيق لحظات الألم إلى التعبير عن آمال التعاضد بين البشر، في ما يتجاوز الحدود التي ترسمها قسوة الجنسيات والأعراق والأديان والجغرافيات الصغيلة المقيتة، على العكس تماماً مما يجري حالياً من نفاق غربي وتباكٍ تمساحي وحصار جائر على رَحِمنا الكبرى: سوريا. يكفي أيَّ متتبع عادي أن يلحظه لو تتبَّع على النت في أي لحظة، خلال هذه الأيام، مقارنةً لحركة الطيران المدني الإسعافي بين تركيا وسوريا.

من جهة أخرى، إضافةً إلى الحمولة الانفعالية والتضامنية للقصائد أدناه، هي أيضاً فرصة للشعراء لطرح تساؤلات فلسفية ولاهوتية حول مصدر الخير والشر والإرادة والأفعال الإلهية، متراوحةً بين تقديم جواب علمي يربط الزلزال بظواهر وتفسيرات جيولوجية محضة فحسب، جواب يضع العالمَ وجريان عناصره بمعزلٍ عن «تأثيم» أو «مباركة قوة إلهية» عليا لأفعال البشر، وتقديم جواب غيبي يجعل من الزلزال — وباقي الكوارث الطبيعية — «عقاباً إلهياً للبشر»، بل ثمة أيضاً شعراء جعلوا هذه الفجائع ثيمة من ثيمات الأدب القيامي. وفي نهاية المطاف، بعيداً عن كل هذه التفصيلات والفروقات والرؤى المتناحرة، تعلو قيم الجمال والإنسانيّة فوق كل شيء. ومن خلالها خلّد الشعراء لحظاتِ اليمة من حيوات شعوبهم وإخوتهم في الإنسانيّة.

اختيار وتقديم **رشيد وحتي**

1- عواء مصحح اللغة

عبد الرحمن مقلد *

تَمُرُّ زلازلُ وبراكينُ
وأنا أعْوِي
كي يسمعَني من يتسابقُ نحوَ الموت
وكي ينتبهوا قبلَ سقوطِ البيت
أرجو أن يتركَني
القابعُ فوقي
ولا ينتبه لأنّي من أخطائي
وكأني قاتلٌ من قتلُوه
ولصُّ المالِ العامِ
- إذا ضبطُوه -
أقاموا لي المِقْصَلةَ
وقالوا
كيفَ..
لماذا لا تنتبهُ..
وكيفَ لهذا الشاعرِ أن ينتبهَ
لخَطوِ يديه
وتلكَ دِماءُ الموتى تطغى فوقَ
الشاشةِ
تملأ مجرى الأحرفِ
تحملُ من بصماتِ القتلةِ
ما لا يمحُوه دليلُ
لكني كنتُ أرمَمُ تلك الهُوَّةَ بين القاتلِ
والمقتولِ
كأني حفّارُ قبورٍ
كلُّ الجُثثِ لديه سواءُ
حفارُ قبورٍ!!
ماذا يفعلُ يا ابنتي
الشاعرُ بستانيُّ اللّغةِ
سوى أن يرثي المَوْتى
أو يتربّث بضعَ دقائقَ كي تحتضنَ
الأمُّ بنيها
أو ينفجرَ الأبُ ويغلقُ عينَ الولدِ
وأن يقتبسَ الغارقُ آخرَ نَفسٍ
ويمرّ قطارُ المنتحبينَ
ليس عليه سوى أن يضعَ زهوراً
للدبابة
كي تقتاتَ
ولا تضطرَ لصيدِ مزيدٍ من صُحَبَتِه
ويُزيّنُ وجوهَ نساءٍ منهوكاتِ
العرضِ
ويضعُ فواصلَ كبرى بين القاتلِ
والمقتولِ

*القاهرة

2- تحت الانقاض

تدلي الوردة
في يده.
(محيي الدين محجوب، طرابلس/ليبيا)

3- كل الضحايا إخوتي

قلبي مليء بالموتى
ولا أعرف أين أدفنهم.
(وديع سعادة، سيدني/لبنان)

4- من كثرة مشاهد الانقاض

تخاف أن تطبق جفنيك
فيصرخ أحد ما طالباً النجدة
من تحتهما
(لطيفة أودوهو، الفقيه بنصالح/المغرب)

5- قاسية هي الاوجاع

أيتها الأرض المتكسرة
ودامية جداً
فجيعتك
(مجيدة البالي، فلورييدا/المغرب)

6- فولتير: قصيدة عن كارثة لشبونة، 1756 (مقطع)

جانب الفلاسفة الصواب حين
يزعمون أن «كل شيء على ما يرام»،
إهرعوا لتتاملوا: هذه الأطلال
الرهيبة،
والأنقاض والخرق والرماد الحزين،
وهؤلاء النسوة والأطفال المتراكمة
جثثهم (...)
هل ستقولون، عند رؤية هذا الركام
من الضحايا:
«إن الله ينتقم، وأن الضحايا إنما
يدفعون ثمن خطاياهم»؟
أية خطيئة واي جرم لهؤلاء الأطفال
الملتصقة أفواههم بأثداء أمهاتهم
المسحوقة والدامية؟
هل بلشبونة، التي لم يبق لها أثر،
رذائل أكثر مما يوجد بلندن أو
باريس الغارقة في الملذات؟
لشبونة منكوبة، وفي باريس تُقام
حفلات الرقص.
(ترجمة: نجيب مبارك).

7- الارض تعرف هوية الفاعله

كذلك الدمية التي
تحت الأنقاض.
(محمد الأمين الكرخي، لاهاي/العراق).

8- شذرات من العرفان الفارسي

1. وما الجهات الست إلا سفينة بلا
شراع لحظة الزلزال. (ميرزا حاجب
البروجردي).
2. الأقرب لسجيّة الجبل زلزلة ذات
طعنة عميقة. (بيدل الدهلوي).
3. ينبض الكون بالعمران والأرض
حبلى بالزلازل. (بيدل الدهلوي).
4. من زلزلة إلى أخرى قضيت العمر،
ولم ينهدم لمرة واحدة بيت السلاسل.
(كليم الكاشاني).
5. بيت بلا حبيب وزلزلة في الطريق.
(عبد الرحمن الجامي).
6. لا يأبه لألف زلزال من نصب خيمة
في الصحراء. (سعدي الشيرازي).
7. وحدهم أهل الصحراء في مأمن
من الزلازل. (البلخي الرومي).
8. لا شفاء من فجيعة الزلزال حتى
إن ارتشفت الخمر إلى يوم الدين.
(سوزني السمرقندي).
9. بحجارة الزلزال يرشقنا العدم.
(الأزرقي الهروي).
(ترجمة: محمد الأمين الكرخي).

سركون بولص: الحياة على حافة زلزال

أعيشُ على حافّة شقّ الزلازل
المسمّى:
أخدود القدّيس أندرياس..
يا لهُ من قدّيس!
يتخاطفُ بين أونةٍ وأخرى
تحتَ أساساتِ بيتي
فيرتَجُّ لهُ
البيتُ.
بيتي،
عبر خلفيّات الحديقة
صغيرٌ، على وقْع تلّة الانحدارات
نحو البحر.
ذاتَ يوم سأقولُ لأمواجه:
سوف أطفو فيكِ على قُفّتي أيها
المحيط الهادي
وبضعةٌ من كتُبي المفضّلة
محمولةٌ على ظهري
عائداً من جديد إلى قصة الطوفان!
أنا من يشقى
ليوخَذ الشقّين، في أحلامه
بين الزلازل والسكينة.
بعمودي الفقريّ إن لزمَ الأمور، أُسندُ
انزياحةَ التشقّق الأرضيّ الذي
ستتساوَى الطبيعة.
أو تتهجّاهُ ألواح المصير.
كنتُ أمشي، في الأماسي، وبيتي
يتكدّر من الأنباء
والتوقّعات
والتوجّسات والنذائر
تكاد حجارتهُ أن تشيخ في وجه
الانهيارات المقبلة.
كنتُ أمشي لأنظرَ إلى
المشهد التالي، وأشهدَ للغرابة.
عندما جئتُ إلى هذا المكان
كنتُ أحلم بأنّ كلّ شيء في انتظاري:
الطبيعة بكلّ بهائها، رفوفٌ علّقتْها
كتُبي.
أسماءٌ حيّةٌ تجتاحني. ذلك المعنى
الذي سأقولهُ، أنا
وحدي.
هكذا فكّرت، أنا البريء
الأكثرُ خسارةً من أعشاب والت
ويتمان
في حديقة السذاجة.
كان ذلك منذُ وقتٍ سحيق
مرّ في رمشة عين. واليومَ أعرفُ
أنني حقاً أعيشُ على
حافّةِ زلزال.
(العراق)

درب حلب ومشيناه: موت بموت!

حلب ــ وسام كنعان

لم يعد الطريق إلى حلب مسيّجاً بالطرب. صار علينا أن نبدّل كلمات الموشح الشهير لنقول: «يا رايحين ع حلب قلبي معاكم مات». الطريق من دمشق إلى «عاصمة الشمال» طويل وكفيل بأن نجري خلاله جردة حساب لئيمة، مع زمن الكفن الفضفاض، بغير مقاس المدينة التي صدّرت طرباً وتجارة وصنّاعة وغازاً وزعتراً، فجارُها القدر بحرب هوجاء ثم زلزال مدمّر! أيّ وجه يمكن أن تقابلنا به حلب، وقد اعتدنا منها النَّهفة والدعابة والمنافسة الشرسة؟ ضبطنا في كلّ مشوار أنّا نحن جمهور نادي الوحدة الدمشقي على «شتائم» مدوّنة من مشجعي الأهلي، وكنّا لا نبتئس منها باعتبارها واحداً من طقوس الفرح وعناصر الدهشة المعدّة على قالب المتعة، حتى صالة الحمدانية التي كانت خزّان فرح وجحيم حماس، من يدخلها، يجب أن يخلع نعليه ويخفض رأسه أمام جمهور تعشّش الرياضة في ثناياه، لكنّها استحالت اليوم فيض حزن وملاذاً آمناً بعدما صارت مركز إيواء لمئات العائلات التي لم يترك لها الزلزال مأوى. الفرق بين الزمنين هو بالضبط فرق المَوْن الباهي، عن الأبيض الباهت بجاوره أسود قاتم مثل «عضة» قبر!

الشوارع مفروشة بالمشرّدين، والسيارات صارت ملاذاً لعائلات عديدة، حتى لو لم تُصب بيوتها، أو تتصدّع، لكن خوف أهلها والرعب الذي تسبّد المشهد، جعلهم يبيتون كلّ ليل في العراء، محتمين بسياراتهم البسيطة. خلافاً لما تروّجه السوشال ميديا عن فوضى وتقاعس في عمليات الإنقاذ، تبدو الأمور أكثر تنظيماً وأشمل في مواءمة المصاب.

جولة سريعة على مراكز الإيواء من صالات أفراح، ومساجد، وصالات رياضية، وملاعب، كفيلة بأن تجعلك تداوم على زيارة الطبيب النفسي لأشهر طويلة! أخيراً سنصل «حيّ المشارقة» وسط حلب. إنّه خطّ التماس على مدار سنوات الحرب، كونه تقريباً يفصل أحياء حلب الشرقية مثل: بستان القصر، وصلاح الدين، وجزء من سيف الدولة، والفردوس، والصالحين، والشعّار، وصولاً إلى الأرياف التي كانت تسيطر عليها المعارضة المسلحة، عن أحياء حلب الغربية مثل: حي الإذاعة، والفرقان، والجامعة، والشهباء، وحلب الجديدة، والحمدانية، التي كانت تسيطر عليها الدولة. «المشارقة» نالت نصيبها اليسير من دمار الحرب، وصار وقت أن يختلط غبار المعارك بركام الانقاض بعدما تساقطت أبنية فيها. على قدم وساق، تتساعد قوات الدفاع المدني وفرق الهلال الأحمر السوري والمتطوعون من فرق الإنقاذ الجزائرية والتونسية مع معدّات ثقيلة كاملة، وسيارات إسعاف، ومولدات كهربائية لانتشال الجثث. الجثث ينتظرها ذووها منذ أيام. هنا سيدة تلاحق جسد مسجّى ملفوف بمشمّع أبيض. عندما تتعرف إليه، تغيب عن الوعي تماماً ويكون آخر ما تقوله بصوت محبوس في معتقل تعذيب: «هذه الجثة رقم 25 منذ أربعة أيام». البناء له قصة تصلح لأن تصير فيلماً يقطر مأساة. كان فيه نحو 70 شخصاً لاذوا بالملجأ

(بكر القاسم ـ أ ف ب)

عند حدوث الزلزال فانهار عليهم. انتشل سبعة ناجين والبقايا جثث. أفظع ما حصل بأن سيدة ظلّت تشرب من أنبوب مياه مكسور ثلاثة أيام لتتمكن من مناهضة الموت وتتمسّك بالحياة، ثم يتم انتشالها حيّة قبل وصولنا بساعات أي بعد أكثر من ثلاثة أيام على سقوط مبناها وحصارها تحت الركام. تسحب فرق الإنقاذ ملفات مهمة تقول بأنها تعود للقاضي خلف الحسن الذي اصطحب في الليلة المشؤومة أوراقه ليدقق فيها، فظل مع وثائقه وقضاياه تحت الركام! قريبه المعتصم بالله الحسين يوافق على الحديث معنا، لكنه يقطع كلامه مرّات متتالية وهو يركض وراء جثّة جديدة انتشلت ليعرف إن كان عمّه أم لا. الحيرة والحسرة والغصّة في صوته وهو يقول: «منذ أربعة أيام وأنا أنتظر انتشال جثث العائلة وبقي هو. كانت في ضيافتهم زائرة هي الوحيدة التي نجت». لن يزيد الآخرون على ما قاله، حتى الأطباء التونسيون سيطلبون من الجميع الصبر والاحتساب وهم يؤكدون بأن ما يتم إنجازه من عمليات تطويق للكارثة في سوريا كان مفاجئاً بالنسبة إليهم ويفوق قدرات بلد منهك من الحرب!

شرفات المنازل المنكوبة تحكي. لم يعد يستر ها شيء، صارت مشرّعة للجميع. في زمن الكوارث، لا جدران تحمي سكّانها ولا ذكرياتهم ولا معالم مأساتهم في لحظاتهم الأخيرة. التفاصيل تبوح بكامل أسرارها. الغسيل المعلّق، تفوح منه الآن رائحة موت خالصة! الخزانات الخشبية البسيطة. المراوح التي كانت تنتظر الصيف ببالغ اللهفة. مرايا الأطفال الصغيرة... الآن تنتشل جثّة امرأة. نسأل أنفسنا: ترى ماذا كانت تفعل عندما انشقت الأرض وابتلعتها. هل كانت تغطّ في نوم عميق، أما أنها كانت تحرس ليل أطفالها؟ الأسئلة تصبح ضجيجاً وازدحاماً واختناقاً، لكن زمّور سيارة الإسعاف يقطعها بصرامة. تظلّ عيون الطوابير معلّقة على خيوط العبث، والجميع يتحسّب من سقوط مبنى جديد في أيّ لحظة، أما البحث فجار عن: أرواح، ذكريات، أو مجرد جثث! طوابير من المنتظرين على أمل. طيب من يجرؤ على قول كلمة أمل اليوم، هذه الكلمة التي شيّدت عداء أزلياً مع معظم السوريين! لا شيء يمكن أن يقال سوى أن حلب تكمل معالم الكارثة! من حي المشارقة، سننتقل إلى الشعار ثم العزيزيّة في زاويتها. بناء كان تحته سوق صاغة تداعى كلياً، وظلّ ضوء خافت بداخله يشهد على الملمّة الموغلة. لقد غادر سكّان هذا المبنى قبل انهياره فوق أحزانهم. تكدّست ذكرياتهم وأوجاعهم وامتزجت مع الأنقاض. ظل فقط بصيص الضوء الذي نسوه، أو تركوه ينطفئ وحيداً وعلى مهل خلافاً لهول الصدمة. كان ذلك أوّل بناء هبط بعد الزلزال.

على جوانب أوتوستراد الحمدانية، الحياة في أواخر الليل تبدو في أوجها، والجميع اعتكف عند الطريق قبل أن نكتشف رجلاً قد أشعل ناراً وخيّم في مقبرة. يقول سكّان الحي بأنها مقبرة عشوائية تشكّلت في سنين الحرب على جانب طريق عام. يصف الرجل حاله بالجثة التي ما زالت على قيد الحياة. لذا لم يجد أفضل مكاناً من المقبرة ليخيّم فيها بعدما تصدّع بيته وصار على مقربة من السقوط الأخير!

سيرة

إسماعيل باشا... «عزيز مصر» أو كارثة حلّت عليها؟

عبدالرحمن جاسم

يحضر كتاب «إسماعيل باشا» (هاشيت أنطوان/ نوفل) لكاتبه الصحافي الفرنسي روبير سوليه (نقله إلى العربية أدونيس سالم)، بمثابة تاريخ لإحدى الشخصيات الأكثر إشكاليةً في التاريخ المصري. وإذا كان بعضهم يرى في محمد علي باشا (جد إسماعيل) والد مصر الأول (وإن كان الزعيم الراحل جمال عبد الناصر والد مصر ومشروعي تأميم القناة والسد العالي، بالتالي والد مصر كما نعرفها اليوم)، فإن إسماعيل ـ بحسب الكتاب وكثيرين ـ يستحق أن يضاف إلى ذات المقام والمركز والدور. يأتي إسماعيل باشا، بوصفه الرجل الذي افتتح عصر التعليم، (أمر علي مبارك بوضع قوانين للتعليم)، والحياة الديموقراطية في مصر (من خلال تأسيس مجلس شعب منتخب من الشعب)، واهتم بالفنون (أنشأ دار الأوبرا المصرية)، واستخدم سكة الحديد للبريد والرسائل، وجعل لمصر «نظاماً» قانونياً رسمياً.

إنه كتاب سيرة يروي حياة إبراهيم باشا «الخديوي المجيد» و«القائد العظيم»، كما يسميه محبوه.... الرجل الذي بنى مصر بالنسبة إلى كثيرين، فيما رآه آخرون بمثابة الكارثة التي حلّت على مصر جرّاء إنفاقه المليارين على مشاريع فاشلة، وهزائم عسكرية مذلّة، وطموحات لا طائل منها. أمر أدى بالسلطان عبد الحميد الثاني إلى عزله في نهاية المطاف. «من بين كلّ الذين خلّفوا محمد علي في الحكم، لا شك في أن إسماعيل كان أكثرهم طموحاً ونشاطاً واتقاداً»، فهو قد رأى في أبيه إبراهيم وجدّه محمد علي الرجلين الأكثر قوةً ومهابةً؛ ما دفعه إلى صناعة تمثالين كبيرين لهما على ضفة جواديهما على الرغم من معارضة رجال الدين لذلك. كان إسماعيل باشا محبوباً شعبياً، قد رأى فيه المصريون، بحسب المراحل المختلفة، ضحيةً للإمبريالية الأوروبية أو تركيّاً بيع للغرب. على أي حال، يبقى لقب «الخديوي» أكثر التصاقاً بإسماعيل دون غيره، فهو أوّل من نال اللقب، وأوّل من مارس الوظيفة مع ما تفترضه من هيبة واستقلالية. وفي عهد لم تترك مصر أفريقيا لتلتحق بأوروبا كما كان إسماعيل يؤكد أو يحلم، ولكن لا شكّ في أن مصر انتقلت في عهده من حقبةٍ إلى حقبة وفق الكتاب.

يتألف الكتاب من ستة وعشرين فصلاً، تتناول مراحل حياة إسماعيل باشا؛ ابتداءً من اللحظة التي وصل فيها إلى الحكم وصولاً إلى لحظة عزله: «إنه رجل عاقل، منهجي وصبور، لا يشرع في أمرٍ إلا بعد أن يشبعه تفكيراً، وحين يقرّ رأيه على فكرة، فهو يتشبث بها». ينقل سوليه هذا الكلام عن أوغست ماريت، مدير مصلحة الآثار المصرية في فترته. هذا الرجل الصبور العاقل، بدأ حكمه بالكثير من التحديات، بدءاً من الديون الثقيلة التي خلّفها له والده سعيد باشا، و«التي تقدّر 279 مليون فرنك (و 88 مليون فرنك بدل شراء أسهم في قناة السويس)»؛ وصولاً إلى بداية غريب ضرب ماشية مصر بأكملها، فخلّف ملايين الحيوانات النافقة، ناهيك بوباء الكوليرا الذي جعله يقضي وقتاً من فترة حكمه على متن قاربه المعروف «الحروسة».

من يقرأ في تفاصيل الكتاب، يجد أنّ الخديوي بذل مجهوداً كبيراً صوب تحقيق تقدم مصري، فأنشأ ثلاث شركات كبرى: «الشركة المصرية للملاحة»، «شركة التجارة المصرية» (تختص في تطوير السودان)، أما الثالثة فهي «الشركة الزراعية والصناعية في مصر». ولو أنّ الشركات الثلاث فشلت في تحقيق أهدافها وكلّفت الدولة الكثير، إلا أن التفكير التقدمي بهذه الطريقة، والإصرار على صرف الأموال على التطوّر والتطوير أفادا البلد بجميع الأشكال. يتحدّث الكتاب بصراحة عن وحشية ما حدث في قناة السويس، وكيف أنّها كانت مصدر عذابات لا نهائية للمصريين، وخصوصاً عمّال السخرة الذين كانت اتفاقية قناة السويس «تجبر الدولة المصرية على تأمينهم بحسب حاجات مدير القناة فرديناند دو ليسبس» بحسب الكتاب؛ «رسمياً كانت الشركة مصرية، ومقرها الإسكندرية، لكنها في الواقع اديرت من باريس، وكان مهندسوها فرنسيين، وكذلك معظم مساهميها. أما عمّالها، فقد كانوا من الفلاحين المصريين الذي طُبّقَ عليهم نظام السخرة».

يشير الكتاب إلى أنّ عددهم قد بلغ نحو ستين ألف عامل في أقل من عام واحد، مضيفاً أن اقتلاع هذا الكم الهائل من العمال/ الفلاحين من أرضهم في بلد لا يتجاوز عدد سكانه الخمسة ملايين نسمة هو رقم كبير للغاية. كل ذلك لم يغيّر طبيعة العلاقة التي جمعت بين دو ليسبس والخديوي، فقد كانت جيدة إلى درجة أن المهندس الفرنسي كلّفه أصر على تسمية المدينة الجديدة التي كانت تقام على ضفاف القناة آنذاك باسم «إسماعيل» لتصبح الإسماعيلية «تذكيراً بهذا الوالي العظيم الذي سيواصل مشروعنا العظيم حتى نهايته». هذا الأمر الذي حدث على الرغم من فداحة ما دفعته مصر والشعب المصري من أثمان، حقّق نجاحاً كبيراً. وكان الاحتفال بافتتاح القناة الذي كانت نجمته الإمبراطورة الفرنسية أوجيني، زوجة نابليون الثالث الذي لم يأت إلى الافتتاح لأسباب صحية و«أوبرا عايدة» التي لحنها الإيطالي الشهير فيردي وألّفها ميريت باشا عالم المصريات الفرنسي المعروف.

اعتبره بعضهم ضحيةً للإمبريالية الأوروبية أو تركيّاً بيع للغرب

على جانب آخر، «ناضل» إسماعيل باشا في مواجهة السلطنة العثمانية: لقد كان أخوه مصطفى طامحاً في وراثته، لكنه -أي إسماعيل- يرغب في توريث ابنه. هذا التوريث لم يكن ليحدث من دون رضى السلطنة، لذلك كلّفه ذلك مراراً إرضاءها من خلال إرسال ثمانية عشر ألف جندي مصري إلى جزيرة كريت -كمثال- لتأديبها، أو دفع مال وفير للعرافين والمنجمين الذي يعرف بأن السلطان عبد العزيز الأوّل ووالدته يحبانهم ويصدقان ما يقولونه لتأييده عندهما وإعطائه اللقب الذي يحلم به منذ بدايته أي «عزيز مصر». لكن لأن اسمه عبد العزيز، رفض السلطان العثماني الأمر جملةً وتفصيلاً، فكان اللقب هو «الخديوي» الذي كان «بعض الكتاب الأتراك يستعملونها للإشارة إلى السلطان... وتعني السيّد أو المولى أو الملك». لقب الخديوي لم يأت وحيداً، «فقد نال الحق بإدارة مالية مصر حسبما يشاء، وسك عملة خاصة به وإبرام اتفاقيات مع البلدان الأجنبية، ولو لم ترتق إلى درجة المعاهدات».

هو كتابٌ تاريخي يروي سيرة وإن على شكل قصةٍ بتواريخ متأحقة. وقد حاول الكاتب أن يغوص في عوالم شخصياتٍ صنعت التاريخ الحالي لمصر والشرق الأوسط بشكله الحالي.

ديوان

محمد ناصر الدين: لا قيامة إلا بالحب

هالة نهرا

بالبسيط والمربك في آن معاً، يفتتح الشاعر اللبناني محمد ناصر الدين مجموعته الشعرية الثامنة «أرني وجهك أيها الهارب» الصادرة أخيراً عن «منشورات الجمل» (الشارقة) في لوحة يحاول فيها الشعر أن يكتب سفر تكوينه الخاص وروايته الموازية لتاريخ الخليقة. إنه الشعر الذي يصفه مالارميه بأنه بخطورة الإله ذاتها: «(...)/ كان الشعرُ يفتحُ إيقاعاً ويغلقه في الصوت/ عندها الإله الذي في الريح والجمرة والعصفور والصوت/ رافعاً رأسه، يرمي بالتجاعيد من فوق جبينه...»، كأنّ الشعر خلْقٌ فوق الخلق وفتح لفضاء التأويل على آخره، واجتراحٌ للمعجزة في الخيال واللغة: «موسى يعقد هدنة مع السحرة/ يوسف يعانق إخوته/ فقط حين ينزل الشعر إلى الجب/ ويخرج بحيّة ملونة».

بعد القصيدة الأولى التي يحاور فيها ناصر الدين الموروث الديني بجرأة مقنّعة كما في مجموعاته السابقة من «صلاة تطيل اللوز شبراً» (2011) إلى «أقفاص تبحث عن عصافير» (2018)، وفي موازاة مساءلة المقدّس وطرح الشعر لنفسه بديلاً روحانياً تتبدى فيه التجربة الإنسانية في قوتها ومشاشتها والتماسها كشف الحُجُب، يطلق الشاعر صرخته المدوية التي ستكون عنواناً للديوان: «ارني وجهك أيها الهارب». بعد سقوط العقل (الفلسفة) والأسطورة (الموروث) كما جاء في قصيدة «الشعر في يومه السابع/ لوحة ثانية»، يظهر شبح فريدريش نيتشه للقارئ المتقدّم مدامعهم/ لئلا تنسى خوف العصفور وما قاله في موت الإله. يبدو العلم هو الآخر عاجزاً عن اجتراح المعجزة، «كان على شكل قصةٍ بتواريخ متأحقة. وقد حاول الكاتب أن يغوص في عوالم شخصياتٍ صنعت التاريخ الحالي لمصر والشرق الأوسط بشكله الحالي.

بالعنق الملوي/ كان من بعيد يعيد ترتيب الأشياء/ الخلية، الوردة، الطحرة، الغابة، عنق العصفور/ عرش وردة خردة الدبابات/ ورجلٌ يدبك فوق التاريخ». ويبرز العصب الجنوبي في هذا الشعر: «(لا عجب يا أدونو، سمع وقد سقط العقل والأسطورة/ هرب إلى الشعر». فالشعر ملاذ وملجأ وحصن، والشعر لا نهائية المجاز المشرّع على المطلق حيث تتجلّى الحقيقة الهاربة وتتراجح بين الاستتار والكشف. يريد الشاعر بذلك رؤية كل الأشياء في الشعر لأنه يرى العالم نصّاً سيكتبه قبالة نصّ أول هو الجمود في الموروث الديني «في البدء كانَ الكَلِمَةُ، وَالكَلِمَةُ كانَ عِنْدَ اللهِ، وَكانَ الكَلِمَةُ الله» يقول إنجيل يوحنا، أما الشاعر، فيقول: «في البدء كانت الريح»، فكأنما يبحث عن وجه الله في الكلمة والشعر، وقبالة عجز العلم في اجتراح معجزة للإنسانية المعذّبة، كأنّ القصائد اللاحقة في الديوان حول الحرب والموت والحداد أشبه برؤيا يوحنا عن الدمار والهلاك الذي يجلبه العلم الذي لا يردعه رادع... العلم الذي يطور الصواريخ لطائرات يوشع بن نون حين ترمي بحممها على بيوت قرية الشاعر الجنوبية التي أبيدت بالكامل عام 1985 أثناء الاحتلال.

في ومضاتٍ من شعر محمد ناصر الدين، ثمّة موقفٌ من الوجود والعالم يتبدّى ضدّ العنف والتوحّش والشدّة والاقتتال والتناحر باسم المطلق والإلهي. موقفٌ إنسانيٌ محض، تختنقُ نزعة قِيَمية في كلماتٍ بَيّنة لا يخامرها لَبْسٌ ولا تخضع لاجتهاداتٍ تأويلية: «في قلبي إلهٌ صغير/ يملك سهماً اسمه الرحمة/ يكسر الآلهة المحاربة». كما تتبدى رؤية الشاعر التي تصف الحرب التاسعة لأنها التي تمنح الحياة. والرائع ذلك الربط الدائم بينها وبين الطبيعة، ففي كلّ مرّة يتحدّث عن الأنثى تجده يستحضر ورقَ عناصر الطبيعة، ليتحوّل النّصّ أغنيةً تتدفقُ كنهر رقراقٍ عذب، وكأنه بذلك يماهي بينَ جمالها معًا، وهذا ليس غريباً، أليست الطبيعة أمّ البشر؟ «خذي الحروفَ إلى حيثُ تسدلُ الليالي ضفائرَها/ على سهولِ رقصنا فيها/ حبٌ كسرتِ أغلالَ كفّيه قُبلةٌ/ كنّا وكانت السّنابلُ تتعلّمُ لغةَ الشّمس/ وارتكابُ القصيدةِ فعلُ التّذرّه داخلَ الفصولِ/ محيّاكِ زهرةُ اللّوتسِ الأنيقةُ/ وعلى أنفكِ الصّغيرِ القمرُ فضيٌّ/ غزالةٌ تعدو/ اتركيني في كتابٍ كفّيكِ حلمُ نهرٍ/ تحميه ضفافُ الرّنابق...».

يبدو الشاعر يغني مرائيه في قلب الحروب

وهي بعض عناوين النصوص الواردة في لوحات، إنّها تجعلك تدرك مباشرة أنّ الشاعر يعيش قلقَ الوجود والمصير، يعيشُ في الغربة، وربّما ولّد هذا الأمرُ لديه شعوراً بالأسى على أرضٍ تقاسمتها الأهواءُ والمصالحُ الماديّة، وحكمها منطق السّطوة في غياب العدالة المرتجاة. مع ذلك، ما زالّت تسكنه، رافضاً فكرةَ أن تتركَ في أيدي الطّغاةِ يتناهبون أحلامَها، ويحرقونَ أولادك وأحفادك أن لا شعر بعد أوشفينز قتلوا كل الجداول في وادي قريتنا... جوقة تردد مع إليوت: «نيسان أقسى الشهور، يُنبت الليلك من الأرض الميتة ويمزج الذاكرة بالرغبة، ويوقظ الجذور الخاملة بمطر الربيع». يردد الصدى مع «شمس»: «في شهر تموز وسبعين مجزرة في القرى اكتملت كربلاء كما أرادها الأقوياء».

في نص «شاعرٌ ثالث- مزاج الدم»، يبدو الشاعر يغني مراثيه في قلب الحروب التي يجهد المنتصرون فيها إلى وضع المكياج فوق الجثث: «أرى رجالاً بجباه عريضة/ أرى توابيتهم ملفوفة بالعلم/ أرى الزجاج آمّا مهشّمة». كما أن الشعر الذي يبدأ حيث ينتهي التاريخ، يرفض أن يكون هذا التاريخ أنطولوجيا للدم والثأر فحسب: «التاريخ وثنٌ/ كلبُ الأسنان المتينة/ يعدو بلا كلل/ كلبُ الصلبان الهشّة». في المقابل، ومن قلب الخاملة بمطر الربيع». يردد الصدى مع «شمس»: «في شهر تموز وسبعين مجزرة في القرى اكتملت كربلاء كما أرادها الأقوياء».

في نص «شاعرٌ ثالث- مزاج الدم»، يبدو الشاعر يغني مراثيه في قلب الحروب التي يجهد المنتصرون فيها إلى وضع المكياج فوق الجثث: «أرى رجالاً بجباه عريضة/ أرى توابيتهم ملفوفة بالعلم/ أرى الزجاج آمّا مهشّمة». كما أن الشعر وقائمة حتّى وهي تركض/ أحب الشعر كتاباً قاسياً كالأرض/ وجه الحيوان القدّيس/ معترضاً على المعرفة/ البرد الساقط يكسر عنق الشجرة/ القلب حين يمدح طعنة تغسله».

بعد متواليات الحرب والموت والحداد، يفتح ناصر الدين ثغرة للأمل، فتحضر الحبيبة بقصائد يعنونها بكلمات تنتهي بكاف المخاطبة: وجهك، يدك، صوتك تنقلب فيها القسوة التي طبعت القسم الأول رأساً على عقب، إذ لا قيامة إلا بالحب جرياً على مقولة رولان بارت: «احتاج بسوع لأن يحبّ البعازر لكي يحييه»، فنقرأ: «صوتُكِ غبار الطلع/ النارُ في آخر الحريق/ تفسير الشاعر للشجرة في الريح». إنّه الحب الذي يتبدّى خشبةَ الخلاص الوحيدة فيحمّل الشاعر وجه الحبيبة ويديها وثغرها وعينيها مهمة القضاء على القباحة في العالم: «الأزرق المضعضع/ الأزرق الذي يتدحرج/ بين ركبتيك/ ويعود مغسولاً/ أزرق/ مجهول التاريخ والاسم/ هكذا تحوم/ بين جلدك الطيني والماء/ كل النظرات التي فقدت وجهتها/ لتتغذى بالريح/ ثم المتلثغان/ بالأضلاع المتساوية/ بدوائر الحزن تحتهما/ هندسة معقّدة لجفنيك/ لا أقف عندها طويلاً/ الشعر سهولة خطّ أسنانك المستقيم/ ثمّ جُمل ناقصة/ تخرج من بين أسنانك/ القاسية البيضاء/ تستنفر عقل الكون/ ليفهمَ عزلة الفعل/ الشعرُ حتمية لطيفة/ تفسّر جسدك بالضوء». ليس الهارب في هذه المجموعة التي يهديها ناصر الدين للشاعر الراحل محمد علي شمس الدين سوى الشعر، وحين نصل إلى مقطعها الأخير: «كتابي/ جرةُ رماد/ تركتُ لك عند بابها/ ثغرة صغيرة/ اقترب منها أيها القارئ/ بخفة العصفور/ لوّن جناحيك/ ثم سدّ الثغرة برفق، يتحول الشعر إلى طائر يهرب بخفّة حين نحسب أننا رأينا وجهه.

مجلة

«الدراسات الفلسطينية»: ما كشفته الانتخابات الإسرائيلية

لا تزال مجلة «الدراسات الفلسطينية» تشكّل حالة جميلة في العالم الثقافي بعد عقود على إصدارها للمرة الأولى عام 1971. المجلّة التي يرأسها المؤرخ الفلسطيني رشيد الخالدي، تخوض في عددها الجديد (133- شتاء 2023)، في ثلاثة محاور: الانتخابات الصهيونية التي أفردت لها ملفاً، شارك فيه: أنطوان شلحت، رندة حيدر ورازي النابلسي. المحور الثاني هو «عرين فلسطين» الذي يحاول سبر واحدة من التجارب الفلسطينية المقاومة ذات البعد الخاص مع الباحثين: عبد الجواد عمر، مهند عبد الحميد، سعيد أبو معلا وعبد الباسط خلف وبامن نوباني. وأخيراً، يأتي محور الأسر ومعاناته و«جلاوزة» السجون الصهاينة مع: الياس خوري، عبد الرحيم الشيخ، مشهور البطران، أشجار عبّور وشادي الشرفا.

المحور الأول من المجلة التي ازدان غلافها بلوحة رسمها الأسير وليد دقّة (الذي يعانق الحرّية قريباً)، أضاء على تراجع اليسار الصهيوني، وتنامي اليمين الصهيوني، وربما حتى تخليق ما بات يسمّى بـ«الصهيونية الدينية». بحسب الباحث الفلسطيني أنطوان شلحت (مقالته «تطلعات الصهيونية الدينية: الدولة اليهودية أولاً»)، فإنّ «الصهيونية الدينية» تتألف من «الاتحاد القومي برئاسة بتسلئيل سموتريتش، قوة يهودية برئاسة إيتمار بن غفير، ونوعم برئاسة أفيغدور معوز. هذا اليمين الصهيوني الجديد يحاول تخليق حاجز بينه وبين اليمين القديم الذي يتبنى أفكار زئيف جابوتنسكي (أحد مؤسسي الحركة الصهيونية، ويمتاز بصلابة وبراغماتية في آن معاً). إنه تحالفٌ ديني لا يغطي نفسه ولا يستحي من إعلان أفكاره علانية؛ مورداً جزءاً من مقالة وزيرة العدل الصهيونية السابقة عيليت شاكيد التي أشارت فيها إلى أنه «كلما كان إسرائيل أكثر يهودية، كانت أكثر ديموقراطية». الأمر نفسه تشرحه الصحافية اللبنانية رندة حيدر، في مقالتها «إسرائيل بعد انتخابات 2022» التي أبرزت فيها اليمينية الدينية العنصرية الصهيونية التي باتت ظاهرة أكثر من ذي قبل. بدوره، غاص الباحث الفلسطيني رازي النابلسي في حالة فلسطينيّي الداخل المحتل، موضحاً أنّ الأمر أخذ أشكالاً ما بين «الاندماج» أو «المواجهة». يشير النابلسي إلى أنّ «إسرائيل تحوّلت إلى قوة إقليمية مأزومة داخلياً، تعيش صراعاً بشأن هويتها السياسية... وتدفع هذا الصراع معهم - أي الفلسطينيين - إلى صراع ديني». وفي محور «عرين فلسطين»، ينطلق عبد الجواد عمر، ليشرح في محاضرته «المعركة مع الاحتلال كأنها حربٌ داخلية» أن المعركة مع الاحتلال تدور على أصعدة عدة، أهمها إشارته إلى «الحاضنة الاجتماعية للفعل المقاوم»، أي القتال على المجتمع الفلسطيني. ويورد تعبيراً مستمداً من مكالمة بين القياديين الشهيدين من «عرين الأسود» وديع الحوح وفاروق سلامة: «بدنا نخلي الناس تصحصح». وفي مقالته «مجموعات المقاومة الجديدة بديل وطني ورث الفراغ»، يشرح الباحث الفلسطيني سعيد أبو معلا كيف أن «الأسود» هم جزءٌ أساسي من نسيج النضال، الذي لن يتوقف. وفي مقالته، يتناول الصحافي الفلسطيني يامن النوباني، فتحي خازم «أبو رعد» والد الشهيدين رعد (استشهد في عملية في شارع ديزنغوف) وعبد الرحمن (استشهد في مخيم جنين في مواجهات مع القوات الخاصة الصهيونية المؤازرة بالدبابات)، واحد المطاردين الأشهر حالياً في فلسطين المحتلة، لا بصفته والداً لشهداء، بل كعلامة رمزية لاستمرار النضال وتكثيفه. فهو كان قد أعلن أنه «لن يسلّم نفسه للاحتلال» مع أنه «يظهر» في مناسبات كثيرة بشكل علني في تحدٍّ صارخ للاحتلال وقوته، «في هذه الصورة الاجتماعية» مثلما القمع، هم من يتعيّن عليهم تبنّي مثل هذا التكتيك المتطرف».

وفي مقالته (خارجة عن السياق تماماً) المعنونة «براغماتية حزب الله خارجياً وصرامته داخلياً»، يقع الكاتب زياد ماجد في فخ البروباغندا التي تهاجم الحزب اللبناني، فيشير إلى أنّ الحزب وافق على الاتفاق حول ترسيم الحدود البحرية لأنّ «حزب الله عدّه فرصة لفرض نفسه كفاعل سياسي في هذه المعادلة، متناسياً بكتابات العواصم الغربية بدوره، وتضطرّ اسرائيل إلى التعامل الذي دخل الأسر عام 1986 (سيخرج منه قريباً). وفي إحدى أجمل مقالات العدد، يشرح الأكاديمي والباحث مشهور البطران في مقالته «الإضراب عن الطعام: شاعرية المحنة وقوة الهشاشة»، كيف أنّ «الجسد لغة»، وأن التوقف عن الطعام هو «الأكثر قسوة بين أنواع الاحتجاج»، وأنه بذلك يتحوّل إلى رسالة مباشرة: «الحرية أو الموت». ويعرّج على الباحث جين شارب (منظر الحرب الناعمة الشهير) وحتى على روايات لكتّاب معروفين أمثال اليوناني نيكوس كازانتزاكيس؛ وصولاً إلى شرحه حالات «إضرابية» شهيرة مثل: المهاتما غاندي، بوبي ساندز والجمهوريين الإيرلنديين، مانديلا وحزب المؤتمر الوطني، حزب العمال الكردستاني. وصولاً إلى سجناء غوانتانامو في تسعينات القرن الفائت. إنها «شاعرية» المحنة، فالجوع «أقسى المحن» وكما تقول إيميلين بانكهيرست: «فقط الأشخاص الذين يحسّون بشعورٍ لا يحتمل من

علي جواد سـ«يحيا من جديد»

باسلة موسى زعيتر

كتاب «لوحات» (دار البيان العربي) للشاعر علي جواد، يجسّد لوحات من واقع الحياة، وهواجس النفس البشرية التي تدفعك تلقائياً إلى التفكّر فيها. فيه، لا أدبَ حيادي، ولا كتابة من أجل الكتابة، إنّه مخاضُ صراعات بين الإنسان ونفسه ومحيطه في الوقت ذاته. لذا، تجد الشاعر يدعو دعوة غير مباشرة إلى إعادة تشكيل فكر المتلقّي، حين يعرّي صورته أمامه، لتكون هذه التجربة مدخلاً إلى الحقيقة المحضة التي لا تعرف التباساً «هذا وجهي يا أخت من هجرات/ أنا الشبح المسافر إليك، المراهنُ على الرّيح/ الحالمُ بورد وجنتيك، وبانكسار السّلاسل».

من أحلامها والأمها آملاً بغدٍ أفضل.

والعنوان كما نعرف هو العتبة النصيّة الأولى التي تنقلك إلى مرمى الهدف، إذْ نستشفُ منها المدى الأبعد، لذا، بمجرّد قراءته، تصبح على أهبة الاستعداد للتّقصّي عن الخفايا اللّذيذة فيه، والعتبات النّصّية كما ذكر النّاقد والأكاديمي المغربي حميد لحمداني «مداخل مؤطّرة لاشتغال النّصّ متحكّم» بالداخل اللبناني، وبأن ما فعله - أي الاتفاق - هو هدية للرئيس المنتهية ولايته ميشال عون. المقال برمّته غريبٌ وجوده بهذا الشكل في مجلة مثل هذه، فمنطقه كما لغته لا يناقشان بشكل حرّ مقاوم لا يزال حتى اللحظة يحمل سلاحه علانيةً في مواجهة الاحتلال الصهيوني، بمقدار مهاجمته، ورجمه، وإطلاق توصيفات غير علمية/ دقيقة عليه.

عبد الرحمن...

وصفها استاذ الإعلام في «جامعة القدس» أبو ديس نادر صالحة، بمشي المناضل في أزقّة جنين بحماية الناس، في صورة تجسّد استفتاء شعبياً حول جدوى المقاومة.

وفي محور «السجين والجلاد»، يتناول أستاذ الفلسفة في «جامعة بيرزيت» عبد الرحيم الشيخ في مقالته «الشهداء يعودون إلى رام الله» رؤيته حول قوة «الحركة الأسيرة» ومقدرتها الفذّة على المقاومة، مستشهداً بكتابات الأسير وليد دقة ابن قرية باقة الغربية الذي دخل الأسر عام 1986 (سيخرج منه قريباً). وفي إحدى أجمل مقالات العدد، يشرح الأكاديمي والباحث مشهور البطران في مقالته «الإضراب عن الطعام: شاعرية المحنة وقوة الهشاشة»، كيف أنّ «الجسد لغة»، وأن التوقف عن الطعام هو «الأكثر قسوة بين أنواع الاحتجاج»، وأنه بذلك يتحوّل إلى رسالة مباشرة: «الحرية أو الموت». ويعرّج على الباحث جين شارب (منظر الحرب الناعمة الشهير) وحتى على روايات لكتّاب معروفين أمثال اليوناني نيكوس كازانتزاكيس؛ وصولاً إلى شرحه حالات «إضرابية» شهيرة مثل: المهاتما غاندي، بوبي ساندز والجمهوريين الإيرلنديين، مانديلا وحزب المؤتمر الوطني، حزب العمال الكردستاني. وصولاً إلى سجناء غوانتانامو في تسعينات القرن الفائت. إنها «شاعرية» المحنة، فالجوع «أقسى المحن» وكما تقول إيميلين بانكهيرست: «فقط الأشخاص الذين يحسّون بشعورٍ لا يحتمل من

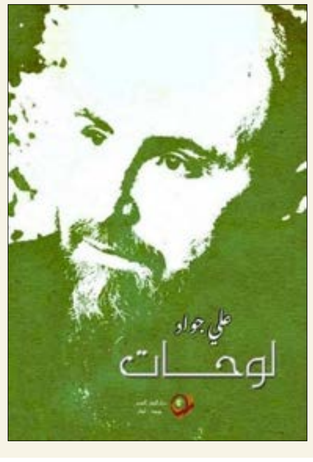

تؤرّقه قضايا الكون كالحبّ، والأنثى، والوطن، والإنسان

ذكرياتها ومجدها. لذا يخاطبُ بيروت قائلاً: «أحبّكِ حبّاً يشبهُ اكتمالَ قمرٍ سعيدٍ يوقظُ الباحاتِ/ كتاباً يشبهني بذؤبانيّ فيه وبشعريني بالأمان/ أغلقُهُ وأبتسمُ كما أغلقُ بيتي بابَ في المساءِ/ أحبّكِ وليتَ لي بلادًا/ كوني لي البلادَ والميلادَ».

أمّا البُعد الإنسانيّ فكانت له المساحة الأكبر، وما ذلك إلا دلالةٌ واضحةٌ على اكتمال الإنسان في نفس الشّاعر؛ إذْ يفلتُ نفسه من إطار المحدوديّة المُختَنقة، ويحتضنُ العالمَ بقلبه، فلا يمكن أن تتجزّأ الإنسانيّة، كما لا يمكنُ أن لا ننصهرَ فيها إن أردنا السّموَ الأخلاقيّ وأن نكون حقيقيّين، لذا شكّل هذا الأمر عند علي نقطةً مهمّةً ومحوريّة، وهو حين تطرّق إليه أشار إلى كونيّة الإنسان، واتّساع رقعة انتمائه واندماجه، فلجأ إلى المفردات والمخلوقات الرّاقية: «هنا بيدا المعنى.../ هنا.. في أحداقِ طفلٍ يمرنُ العشب/ ويطيرُه النّور في كتابة المجاز/ إسوارةٌ مكسورةٌ في يد الشّرق/ أرى شعوباً تعتقل الماءَ/ لقد احترق خوفه، فلا هاجس للذي مرّق الظّلام/ وتحرّر من غموض الفراغ الدّائريّ، غير الإيغال في كنه الوجود...». لقد حلّقَ علي وهو يتخلّص من سلاسل المكان والزّمان، ومن حتميّة بعض القواعد والأنظمة، فلا شيء مطلق، ولا ثبات «مزّقتني الحياةُ إرباً، فغنّيت أغنيةً للأرض/ بيوتي كثيرةٌ خارج ذاك السّرب/ لأنّ بيوتي كثيرة خارج ذاك الوطن...».

وعلى الرّغم من رحمة الوجع والحزن، والمخاوف، ظلّ الشّاعر يصرُّ على الحياة، ويرسم طريق الأمل بأدواته الخاصّة، يمسك بإزميل المعنى، ويحفر عميقاً في صخر المجاز، ليصوغ الفكرة بأسلوبٍ سلس شفّاف بسيطٍ خال من التّعقيد، محرّضٍ على الشّعور الجارف بكلّ حرفٍ، علي جواد يكتب بإحساسه العالي، حتّى تجد نفسك مأخوذاً بكلّ حرفٍ، وكلّ مفردةٍ، يسكب روحه في نصّه فيأسر روحك، ويقنعك برسالته السّامية الّتي آمن بها «سأدفنكما أنتَ والماضي، سأحيا من جديد/ سأحيا من جديد».

أوراق

روزنامة قرص نيبرا

زكريا محمد *

عُثر على قرص نيبرا Nebra Disk الألماني عام 1999 من قبل لصوص الآثار في منطقة ميتلبرغ Mittelberg قرب «نيبرا». وهو قرص برونزي أنزلت فيه دوائر وأشكال ذهبية. ويوقت بفترة تقع في حدود 1700 ق. م انطلاقاً من توقيت الأدوات الحربية التي عُثر عليها معه. لكن هناك من يقول إن القرص لا ينتمي لفترة الأدوات الحربية التي عثر عليه بينها. بالتالي، فهو من العصر الحديدي لا من العصر البرونزي. غير أن هناك فرضيات حديثة تقول إنه أقدم من التوقيت الذي أعطي ذلك بألف سنة. لهذا، يمكن القول إن ملفّ تزمينه غير محسوم.

قرص نيبرا في مرحلته النهائية عندما دفن تحت الارض

وقد استثار القرص، منذ العثور عليه، حركة كبرى من التفسيرات. لكنّ معضلتنا أنه جرت، وبحسب المختصين، تغييرات متتالية على وضعه الأصلي. فقد طمست بعض النقاط- الدوائر الذهبية، وحدث تحريك لبعضها الآخر قليلاً من مكانه. كما أضيف القوسان على الجانبين في لحظة محددة (هناك قوس لم يعد موجوداً إلى يسارنا). ثم أضيف القوس الثالث المختلف في الأسفل الذي دعي باسم «زورق الشمس» تشبيهاً له بزورق الشمس المصري.
فوق هذا، ففي لحظة معينة أضيفت ثقوب على محيط القرص. وقد حصل تلف في نقطة ما على المحيط، ولم يعد ممكناً تقدير إن كانت الثقوب 40 أو 39 ثقباً، وهذا ما يشوش أي عملية حسابية.

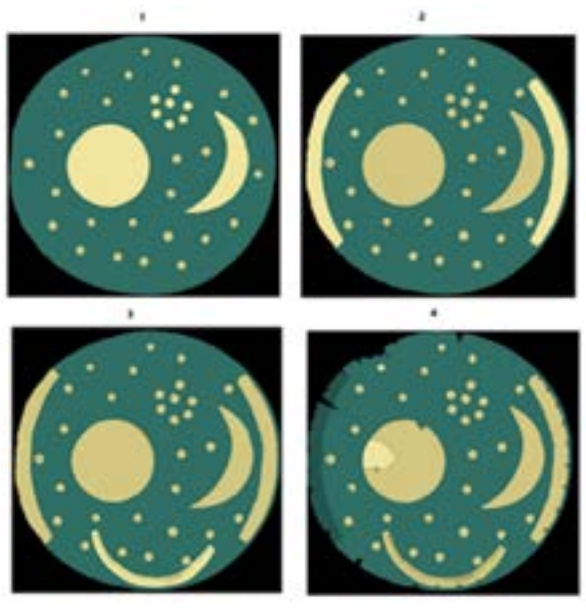

المراحل التي مر بها القرص

بناء عليه، فليس هناك من طريقة سهلة للتعامل مع هذا القرص. فمع أي مرحلة نتعامل؟ مع الأولى، أم الثانية، أم الثالثة، أم الرابعة؟
من جهتي، سوف أتعامل مع المرحلة الأولى للقرص، المرحلة الأقدم، فهي التي تعكس المعنى الأصلي للقرص الذي أعتقد أنه يمثل روزنامة. هذا لا يعني أن المراحل الأخرى ليست مهمة. بل هي مهمة جداً في الحقيقة. إذ عبر مقارنتها بالمرحلة الأولى، يمكن لنا أن نكتشف التطورات المتتالية على الروزنامة في مساحة زمنية لا بأس بطولها. بالتالي، من الممكن افتراض أن القرص يمثل مرحلة توقيتية انتقالية متدرجة. لكن دراسة التغيرات التي تعرّض لها تقتضي أولاً فهم مرحلته الأولى. فهي القاعدة التي انطلقت منها التعديلات والتغيرات.
وقد غرق الباحثون في فرضيات لتفسير الشكلين المركزيين في القرص: الدائرة والهلال. فهناك من رأى أنهما يمثلان الشمس والقمر، وهناك من افترض أنهما يمثلان البدر والهلال. وهناك من افترض أنهما يمثلان خسوفاً محدداً، أي أنهما يعرضان القمر قبل الخسوف وبعده. بل إن هناك من افترض أنه كسوف وليس خسوفاً. أي إننا مع الشمس في كسوفها وقبل كسوفها. أما الدائرة التي تتكون من سبع دوائر ذهبية صغيرة، فالغالبية الساحقة تعتقد أنها تمثل نجوم الثريا السبعة. مع أن تموضع نقاطها ليس تموضع الثريا على الإطلاق. فنجوم الثريا لا تبني نفسها كدائرة.
أما أنا فأعتقد أن كل هذا كلام ينطلق من مشابهات سطحية. وفكرتي أن المرحلة الأولى الأقدم تعرض لنا ثلاثة أشكال في مركز القرص: الدائرة، الشكل الهلالي، ثم الدائرة المشكلة من ستة ثقوب ذهبية بداخلها ثقب سابع، كما يتضح في الصورة أدناه.

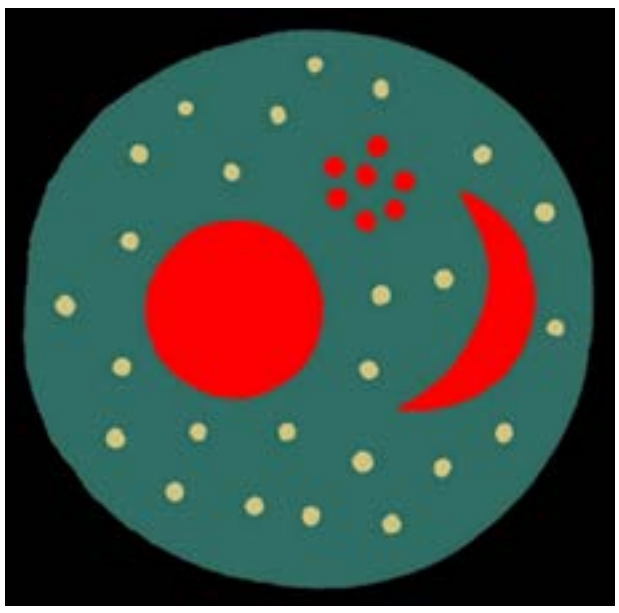

وهذه الثلاثية تمثل ثلاثية نجمية كنت قد تحدثت عنها مطولاً في كتابي: «سنة الحية: روزنامات العصور الحجرية». وهذه الثلاثية رمز تواقيت العصور الحجرية وصولاً حتى العصر البرونزي. وهي فوق ذلك ذات طابع ديني. فالنجوم الذي تحدد الزمن نجوم- آلهة في الحقيقة. والِكال الثلاث في قرص نيبرا تتوافق مع ترتيب النجوم الثلاث التي تتكون دوماً من: كبير، متوسط الحجم، وصغير. وفي القرص، فإن الدائرة هي العنصر الأكبر، والشكل الهلالي هو العنصر الوسط، أما الثقوب السبعة فهي العنصر الأصغر. ووجود هذه التشكيلة بهذا الشكل، يشير إلى أننا مع روزنامة.
أما الروزنامة فمكونة من 32 دائرة ذهبية. وهذا الرقم مضاعفة للرقم 8 بمقدار 4 مرات. والرقم 8 هو رقم أشهر سنة الحيّة القصيرة المكونة من 324 يوماً. في كل شهر منها 40,5 يوم.
لكن سبعة (1+6) أرقام من الرقم 32 عزلت وحدها آخذة شكلاً دائرياً. واعتقادي أن النقاط الست تمثل فترة البيات الصافية في السنة التي نتحدث عنها. فهي سنة مبنية على حركة الماء السفلي الكوني، الذي يملك، مثل الحية، فترة بيات مكون من 243 يوماً (6 أشهر)، وفترة نشاط، أو خروج من البيات، تساوي 81 يوماً (شهران). بالتالي، فالنقاط الست تمثل فترة البيات المكونة من 243 يوماً. ومع النقطة الذهبية الداخلية نكون مع سبع نقاط. وهذا الرقم يمثل فترة البيات مضافاً إليها الشهر التاسع المشترك بين فترتي البيات والنشاط، الذي بإضافته نحصل على السنة التامة (364,5) يوم. عليه، فالنقاط السبع تساوي: 7×40,5= 283,5.
هذا هو جوهر القرص في مرحلته الأولى.
ويبدو لي أن من تعامل مع القرص في مرحلته الثالثة والرابعة، نسي أن دائرة النقاط الذهبية تشكل العنصر الثالث الصغير. لذا فقد أضاف الشكل الهلالي النحيل الذي يشبه زورق الشمس المصري. وهكذا صرنا مع ثلاثية أخرى غير الثلاثية الأصلية. وفي المرحلة الرابعة، جرى حفر 40 ثقباً صغيراً على محيط القرص لكي تمثل عدد أيام الشهر (40) مع استبعاد الكسر (40,5). هناك طبعاً من يقول إنها 39 ثقباً. لكن فرضيتي تقول إنّها 40 ثقباً. بالتالي، فقد جرى تفصيل أرقام الأشهر الثمانية التي تحدثنا عنها.
بناء عليه، يتبقى القوسان المضافان في المرحلة الثالثة على اليمين واليسار. ولست أملك تفسيراً لهما. لكنني أستبعد أن تكون لهما أي علاقة بالشمس. فروزنامة القرص ليست روزنامة شمسية إطلاقاً، بل مائية من طراز الروزنامات التي عرضت لها في كتابي المذكور أعلاه.
أما الثلاثية التي نتحدث عنها في القرص، فلها شبه في التقليد البابلي. فلدينا نحت على حجر حدود بابلي، من عهد الملك ميلشباك، وموجود في متحف اللوفر، ثلاثة أشكال تبدو كما لو أنها تمثل الثلاثية ذاتها.

التشكيل الثلاثي في القرص وفي حجر الحدود البابلي

فكما نرى في الصورة أعلاه، هناك دائرة وهلال ونجمة. الدائرة والهلال يشبهان الدائرة والهلال في قرص نيبرا. أما النجمة الثمانية فشبيهة بدائرة الثقوب الذهبية في القرص.

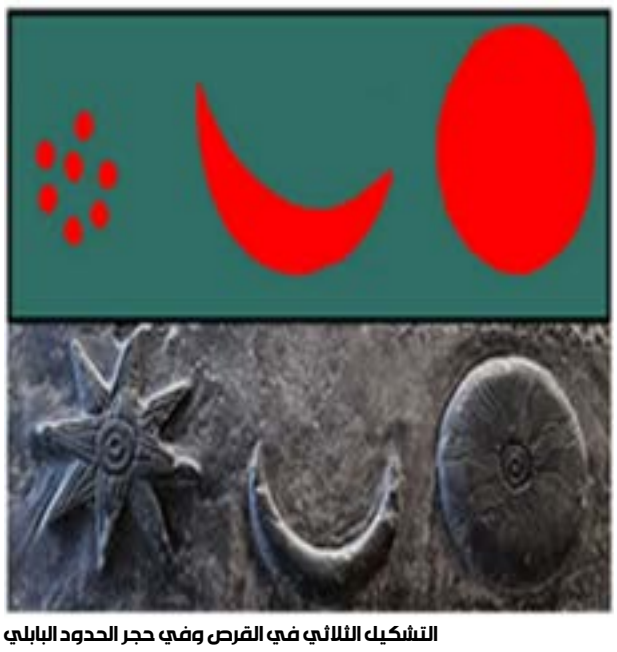

التشكيل الثلاثي في القرص وفي حجر الحدود البابلي

وهذا التشابه ليس مصادفاً. فجوهر التوقيت في القرص والحجر واحد. وهو يعود في أوّله إلى العصر الحجري القديم الأعلى، أي إلى 45 سنة تقريباً.

* شاعر وباحث فلسطيني

Samedi 11 Fevrier 2023 no54
السبت 11 شباط 2023 العدد 54

القوس

www.alqaous.com

8 صفحات

ملحق أسبوعي مخصّص للعدل والإنصاف يصدر مع الأخبار كل سبت

بردٌ قارس يغزو السجون [3]

رُهاب «قيصر» [2]

(جنة الويب)

في العمق

لم ينجد احد آلاف البشر العالقين في ركام المباني في سوريا لعدم تمكّن فرق الإسعاف من الوصول إليهم، وبسبب النقص الحادّ في ابسط مستلزمات الإنقاذ ومداواة الجرحى ونقل المصابين، خصوصاً خلال الايام الثلاثة التي تبعت الزلزال. فالعقوبات الاميركية تشمل القطاع الطبي في الجمهورية العربية السورية، بما في ذلك وزارة الصحة والمستشفيات التابعة لها ومستوردو الادوية والتجهيزات الطبية. ولا بد من التوضيح ان قرار الخزانة الاميركية بـ"تجميد العقوبات" لمدة محدودة لا يشمل وزارة الصحة السورية والمستشفيات والطواقم الطبية وفرق الإغاثة التابعة لها

الولايات المتحدة الأميركية تعاقب السوريين العالقين تحت الركام

العقوبات الجماعيّة تشمل الضحايا

(انجل بوليغان ـ المكسيك)

عمر نشابة، سمر فرحات

يواجه الشعب السوري، منذ سنوات، حزمة من العقوبات الدولية التي فرضتها دول عدّة، أبرزها الولايات المتحدة كإجراء عقابي بعد اتهامها بـ«دعم الإرهاب وقتل مدنيين سوريين». وكان «قانون قيصر» آخر هذه العقوبات بعد دخوله حيّز التنفيذ عام 2020 من قبل الإدارة الأميركية. ورغم ادعاء أميركا بأن هذا القانون يأتي «حماية للمدنيين»، إلا أنّ مضامينه تصبّ في خانة معاقبة الشعب السوري بشكل جماعي (أنظر الصفحة الأخيرة من هذا العدد)، إذ ان العقوبات لا يمكن أن تميّز بين الحكومة والشعب خصوصاً في المناطق التي يسيطر عليها الجيش العربي السوري.

الاقتصاد السوري يعاني تدهوراً مستمراً جراء سنوات الحرب الطويلة، ما أدى إلى انهيار العديد من القطاعات الإنتاجية وتهالك البنى التحتية. ويعمل «قيصر» على تقييد التجارة الخارجية، ويستهدف بشكل مركّز قطاع العقارات والنفط، ما يرفع أسعار المحروقات ويقلّص الخدمات الأساسية، ويحرم سوريا من فرص إعادة الإعمار. يتضمّن القانون تقويض القطاع المصرفي والمالي من خلال مراقبة أعمال المصرف المركزي ومعاقبة كل من يتعامل مع الحكومة السورية في محاولة من الإدارة الأميركية لعزل سوريا.

استثناء على الاستثناء

إن استخدام الولايات المتحدة والدول الغربية ومنظمة الأمم المتحدة العقوبات كوسيلة من وسائل معاقبة دول لأسباب سياسية، يستدعي البحث في فعالية هذه العقوبات وانعكاساتها المباشرة على شعوب الدول المستهدفة، وخصوصاً بعد وقوع كارثة طبيعية والحاجة إلى مساعدات دولية لإنقاذ الناجين منها. وقد تبيّن أن العقوبات التي فُرضت على العراق مثلاً، والتي تُفرض على سوريا اليوم، تستهدف في الحقيقة الشعوب وخصوصاً الفقراء والمرضى والمعوقين والعجزة والأطفال والنساء، أي الفئات الأكثر ضعفاً. فبعد الهزة الأرضية التي دمّرت جزءاً كبيراً من الشمال السوري، تعاظم دور الحصار في إبادة الشعب السوري بشكل جماعي.

وصحيح أن الخزانة الأميركية أصدرت قرار يوم الخميس الفائت (9 شباط)، بعد مرور ثلاثة أيام على الزلزال، بجمّد العقوبات على السوريين حتى الثامن من شهر آب القادم، غير أن هذا القرار يستثني العقوبات المفروضة على الحكومة السورية (الفقرة b2 من القرار). وتشمل "الحكومة السورية" بحسب قانون اللوائح الفيدرالية الأميركي: "دولة وحكومة الجمهورية العربية السورية وأي قسم سياسي أو وكالة أو وسيلة لها بما في ذلك مصرف سوريا المركزي، وأي كيان مملوك أو خاضع لسيطرة الحكومة السورية بشكل مباشر أو غير مباشر، بما في ذلك أي شركة أو شراكة أو جمعية أو أي كيان آخر تمتلك فيه الحكومة السورية حصة 50% أو أكثر أو حصة مسيطرة، وأي كيان خاضع للسيطرة بطريقة أخرى من قبل تلك الحكومة". (الفقرة 542,305).

> القرار الاميركي بتجميد العقوبات على سوريا لمدة محدودة لا يشمل وزارة الصحة والمستشفيات الحكومية والطواقم الطبية وفرق الإغاثة التابعة لها

90 بالمئة من السوريين تحت خط الفقر

أشارت الخبيرة الحقوقية في الأمم المتحدة الينا دوهان في تشرين الثاني 2022 إلى «الآثار الكارثية» جراء العقوبات الأحادية المفروضة على سوريا من خلال تقرير أعدّته بعد معاينتها الميدانية للوضع في سوريا. إذ قالت إن 90% من سكان سوريا يعيشون تحت خط الفقر. مع محدودية الوصول إلى الغذاء والمياه والكهرباء والمأوى ووقود الطهي والتدفئة والمواصلات والرعاية الصحية.

وتحدثت دوهان قبل ثلاثة أشهر من وقوع الزلزال عن «تدمير أكثر من نصف البنية التحتية الحيوية بالكامل أو تضررها بشدة». وأضافت في تقريرها أن «فرض عقوبات أحادية الجانب على القطاعات الرئيسية، بما في ذلك النفط والغاز والكهرباء والتجارة والبناء والهندسة، أدى إلى القضاء على الدخل الوطني، وتقويض الجهود نحو التعافي الاقتصادي وإعادة الإعمار".

وقبل وقوع الكارثة الطبيعية يوم 6 شباط الجاري، كانت دوهان قد حذّرت من تداعيات خطرة على الصحة العامة والأمن الغذائي، جراء توقف عملية إعادة تأهيل شبكات توزيع مياه الشرب، والريّ وراءها آلاف الضحايا والمفقودين، فيما الإمكانات اللوجستية لرفع الأنقاض لا ترتقي إلى مستوى الحدث. ناشدت السلطات السورية المجتمع الدولي «مدّ يد العون» لمساعدة ضحايا الزلازل، وطالبت برفع الحصار عن سوريا. إلا أن الاستجابة لم تأتِ إلّا من بعض الدول العربية، بينما مرّت لحظات ثقيلة على ذوي المفقودين الذين كانوا يبحثون عن أمل بين الركام وعن أصوات كانت ترتفع بصعوبة بين الحين والآخر من تحت الأنقاض تطالب بإنقاذها.

امتنعت العديد من الدول عن إرسال فرق إنقاذ إلى سوريا امتثالاً لقانون قيصر. ولم تشفع صور الموت وصور الأطفال وهم يئنّون تحت ركام بيوتهم المدمّرة من إزاحة الحسابات السياسية جانباً والكيل بمكيال واحد، مكيال الإنسانية.

في لبنان، لم يقف قانون قيصر حائلاً دون مساعدة الشعب السوري بحسب ما أعلن وزير الأشغال علي حمية، الذي أشار إلى فتح الأجواء والموانئ اللبنانية، مع إعفاء شركات النقل الجوي والبحري الوافدة، لأغراض إنسانية، من الرسوم والضرائب. وتوجّهت مجموعة من الجيش اللبناني، وفوج الإطفاء والدفاع المدني وفرق إنقاذ من الصليب الأحمر اللبناني إلى سوريا للمساعدة. كما أعلنت العديد من هيئات المجتمع المدني عن إقامة حملات لجمع التبرعات والمواد العينية لمساعدة الشعب السوري.

العقوبات تخرق مبادئ القانون الدولي

أقرّت الجمعية العمومية للأمم المتحدة بأن العقوبات الأحادية المتخذة في غير إطار المنظمة الدولية هي وسيلة تستخدمها الدول الكبرى الأعضاء في مجلس الأمن للضغط السياسي والاقتصادي ضد البلدان النامية، وتشكل خرقاً لمبادئ القانون الدولي وميثاق الأمم المتحدة (قرار الجمعية العمومية الرقم 200/68 بتاريخ 20 كانون الأول/ ديسمبر 2013).

معاقبة السوريين بعد معاقبة العراقيين

أدى الحصار الدولي (قرار مجلس الأمن الرقم 661 بعد غزو الكويت عام 1990) والعقوبات الأميركية على العراق إلى وفاة ما لا يقلّ عن نصف مليون طفل بسبب حرمان المستشفيات والطواقم الطبية من أبسط المستلزمات والأدوية. واليوم، تأتي الكارثة التي حلّت بالشعب السوري جراء الزلزال المدمّر الذي ضرب مناطق عديدة منها، وأسفر عن مقتل وإصابة وتشريد آلاف العائلات في ظلّ ظروف مناخية صعبة، ليعيد إلى الواجهة تداعيات الحصار والعقوبات الاقتصادية المفروضة على سوريا والتي فاقمت معاناة الشعب وأعاقت عمليات الإنقاذ.

قاووش

الصقيع يغزو السجون

يواجه 6360 محتجزا في السجون اللبنانية، في ظل الأزمات المتعددة التي نعيشها، الاقتصادية والمعيشية، ومع اشتداد العاصفة الثلجية التي تضرب لبنان، صعوبات عدة في تامين سبل التدفئة للوقاية من البرد القارس. وإذا كان المواطن اللبناني يعاني من ارتفاع كلفة المولدات في ظل غياب شبه تام لشبكة الكهرباء وارتفاع سعر الحطب والغاز والمازوت، فما هو حال المحكومين والموقوفين داخل القاووش خلال العاصفة؟

إغلاق النوافذ بالنايلون (صورة حديثة ـ خاص القوس)

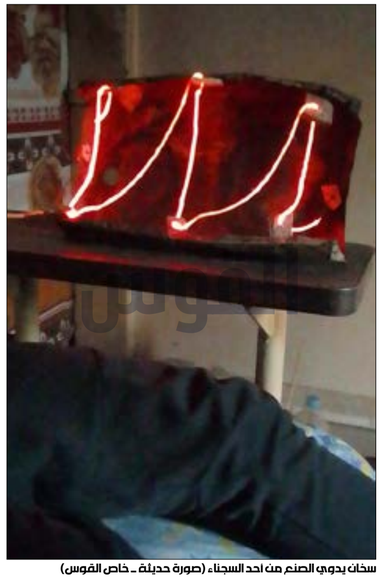
سخان يدوي الصنع من احد السجناء (صورة حديثة ـ خاص القوس)

أحمد مدلج

ظروف آلاف الأشخاص المحتجزين في عهدة الدولة لم تتحسن منذ ما شهده البلد من انهيار اقتصادي وتضخم في مختلف أسعار المواد الأساسية. أوساط وزارة الداخلية والبلديات تتحدث عن "جهوزية جميع السجون لمواجهة فصل الشتاء عبر نظام التدفئة المركزي لكل سجن". لكن في المقابل، يقول عدد من السجناء في رومية إن "الأغطية والسخان الكهربائي هما الوسيلتان الوحيدتان للتدفئة في السجن". إذ تبيّن أن لا علم لهم بوجود أنظمة تدفئة داخل المباني والغرف (ما عدا مبنى واحد مخصص للسجناء الخطرين في سجن رومية المركزي). ولا يمكن للأغطية وحدها أن تعالج مشاكل التدفئة خصوصاً في سجون الأطراف التي قد تصل درجة الحرارة إلى ما دون الصفر. أما السخان الكهربائي في السجون فيستعمل لتحضير الطعام كما للتدفئة بحسب أحد سجناء رومية وهو على نفقة السجين ويتراوح سعره بين 200,000 و300,000 ليرة لبنانية.

يشكي بعض السجناء نقصاً في الأغطية والفراش. ويقول أحدهم "نايمين على إسفنجة وحدة مع حرام واحد كيف بدك نواجه البرد؟ السخّان لحاله ما بيكفي". يضيف آخر أن الاكتظاظ داخل بعض الغرف لا يسمح للجميع بالحصول على فرش النوم والأغطية "مما يفرض على النزلاء مشاركة الفراش والأغطية مع بعضهم البعض أحياناً". أما بالنسبة للاستحمام، غالباً ما يستخدم السجناء سخاناً كهربائياً يدوي الصنع لتسخين المياه، ولكن ذلك قد يعرضهم للإصابة بصعقة كهربائية.

كما يعاني سجناء آخرون من مشكلة تسرّب الهواء والأمطار من النوافذ القديمة والمهترئة، فيتم سد الفتحات بأكياس نايلون أو قطع إسفنج أو بعض الملابس (أنظر الصورة من داخل أحد القواويش في السجن المركزي في رومية).

أمراض جلدية

بالإضافة إلى البرد الذي لا يفارقهم في ظل عدم وجود السبل اللازمة للتدفئة، يتحدث بعض السجناء عن مشكلتين إضافيتين لما يعانون منه خلف القضبان: أولاً "المياه التي تسبب أمراضاً جلدية مختلفة عند استخدامها"، والمشكلة الثانية هي "عدم توفر الكمية اللازمة من الطعام المقدّم من قبل إدارة السجن في ظل غلاء المواد الغذائية في الحانوت". وقد أرسل أحد السجناء صورة تظهر فيها يد مصابة بمرض جدري قال إنها يده. أرسلنا الصورة إلى الأخصائية في الأمراض الجلدية الدكتورة إيمان عواضة التي أوضحت أن الإصابة تعود إلى التهابات جلدية غالباً ما تسببها المياه إذا كانت تحتوي على جرثومة العُنْقُودِيَّة الذَّهَبِيَّة staphylococcus. وهذه الجرثومة قد تؤدي إلى مضاعفات صحية إذا لم تُعالج، وقد تسبب الجرب. لذا من الضروري تامين بعض الأدوية الأساسية كال "Amoclan BID" الذي يبلغ سعر ال 1 غرام منه حوالي 250,000 ليرة لبنانية (حبة صباحاً ومساءً)، ومرهم ال "Fucidin" الذي يبلغ سعره حوالي 346,700 ليرة لبنانية (يدهن على الالتهابات مرة خلال النهار). كما يفضل تركيب فيلتر، وتعقيم خزانات المياه بمادة الكلور لقتل الجراثيم داخل مياه السجن.

سجون النساء

بالنسبة إلى سجون النساء تقول مديرة جمعية «دار الأمل» هدى القرى إن سجن بعبدا "يستقبل 100 نزيلة ضمن 5 غرف، أي 25 سجينة في الغرفة الواحدة، ولا تتوفر التدفئة عبر أنظمة داخلية أو مكيّف لتسخين الهواء. وليس لدى السجينات إلا أغطية للتدفئة". أما سجن بربر خازن في بيروت فهو سجن النساء الوحيد الذي يختلف وضع التدفئة فيه عن سجون القبة وزحلة وبعبدا. إذ إنه مجهز بنظام كهربائي للتدفئة داخل كل غرفة، ولا يتعدى عدد السجينات في كل غرفة ثمانية نزيلات.

> معاناة السجين اليوم ليس فقط على صعيد التدفئة ولكن على صعيد الطبابة والمياه والطعام

الجمعيات تناشد

"ماساة كبيرة" كلمتين لخّص بهما رئيس جمعية «عدل ورحمة» الأب نجيب بعقليني حالة السجون اليوم. "فالتدفئة في ظل العواصف التي تهز لبنان هي شبه معدومة، يستفيد كل سجين في سجن رومية من غطاء واحد في ظل عدم وجود أي نظام داخلي للتدفئة لكل النزلاء، على الرغم من عدم انقطاع التيار الكهربائي داخل السجن، مما يتيح للنزلاء تشغيل السخّان الكهربائي، لكنه غير متوفر في جميع الغرف". يضيف الأب مروان غانم رئيس جمعية «نسروتو» أن "الجمعية تحاول المساعدة لتامين التدفئة عبر توفير الأغطية اللازمة. كما أن السجون تفتقر إلى نظام تدفئة داخلي، ما عدا سجن زحلة للرجال الذي أنشئ حديثاً بنظام داخلي يتم تشغيله عند توفر الكميات اللازمة من مادة المازوت". كما ناشد "المعنيين لتركيب مثل هذه الأنظمة للتدفئة خصوصاً داخل سجون الأطراف المنسية في العادة".

كما يدعو غانم إلى "تامين الألبسة اللازمة لغير اللبنانيين، إذ إن الأجانب متروكون لوحدهم من دون مساعدة من قريب أو صديق"، مؤكداً على أن "معاناة السجين اليوم ليست فقط على صعيد التدفئة ولكن على ضعف الطبابة والمياه والطعام الذين يشكلون أهمية بالغة للسجين والتي هي من حقوقه الأساسية المنصوص عليها في القوانين والدساتير والمعاهدات الدولية".

ويضيف: "أدعو إلى إيجاد الحلول المناسبة لهذه المشكلات قبل أي شي آخر، وهي تامين الدواء لمرضى السكري والقلب".

"ما زال النقص موجوداً على الرغم من مساعدتنا، وليس أمامنا سوى جمع التبرعات والسماح للجمعيات بالدخول أكثر إلى السجون وتكثيف الزيارات". بحسب ريتا فرحات، ممثلة جمعية الأب عفيف عسيران، السخّان الكهربائي أكثر من ضروري لكل السجناء، حيث من الأفضل توفّر اثنين على الأقل. وتضيف فرحات "تناشد المعنيين للمساعدة في تامين سخّانات للتدفئة في أسرع وقت ممكن حرصاً على سلامة السجناء في هذا الطقس العاصف".

علماً أن السخّانات لا تشكل حلولاً مناسبة لمعالجة التدفئة داخل السجون. لكن ما البديل؟ فلا شك أن السجون مهددة باشتعال حريق فيها، كذلك السجناء مهددون بخطر الصواعق الكهربائية نتيجة لاستعانتهم بسخانات يدوية الصنع داخل القواويش. لكن يبدو أن البرد القارص يدفع السجناء إلى تجاهل كل المخاطر على حياتهم وسلامتهم.

مرض جلدي او شرى الصقيع (صورة حديثة ـ خاص القوس)

البطانيات المتوفرة داخل السجون (صورة حديثة ـ خاص القوس)

قرار 9 شباط

المختبر الجنائي

تأثير بينوكيو غير موجود
الحقيقة حول كشف «الخداع»

هناك اساطير كثيرة حول لغة الجسد، لكن في مجال «اكتشاف الخداع اثناء الاستجواب»، يُفترض ان يبتعد المحقق المحترف عن تلك اللغة غير اللفظية لتفسير تصرفات المشتبه فيه وسلوكياته. فالامر ليس مزحة. وتأكيد ان المشتبه فيه يكذب اثناء التحقيقات بالاعتماد على لغة الجسد، يمكن ان يدمّر حياة شخص بريء، وان يؤدي إلى إفلات المرتكب الحقيقي من العقاب. لا توجد طريقة بسيطة لمعرفة ما إذا كان المشتبه فيه يكذب، ولا يوجد سلوك واحد يدل على الخداع. فمن غير العلمي اعتبار المشتبه فيه مخادعاً إذا لمس انفه او اذنه، او مسح فمه. بل يُفترض ان يبحث المحقق المحترف عن مؤشرات الانزعاج والضيق، وليس عن مؤشرات «الخداع». كذلك يُفترض التأكد من ان المشتبه فيه يشعر بالراحة الكافية خلال التحقيق، وهذا بعيد كل البعد من الصور التي نراها في عدد من استجوابات وكالات إنفاذ القانون

جنان الخطيب

دُعيت سيدة إلى مكتب الاستجواب، كونها جزءاً من تحقيق في جريمة قتل. أمضى المحقّق الدقائق العشرين الأولى محاولاً تهدئتها، إلا أنها أصبحت أكثر توتراً حتى قبل أن يطرح أي سؤال حول القضية. كانت تلمس وجهها باستمرار، وتمسك بين حين وآخر بعقد يلفّ رقبتها، وتفرك يديها عدة مرات. أخيراً سألها المحقق: «يبدو أنك بحاجة إلى قول شيء ما»، فأجابت: «نعم، شكراً لك. عندما وصلت، كان لا يزال هناك ثلاثون دقيقة قبل انتهاء الدوام في مدرسة ابني، وأحتاج إلى توصيله إلى المنزل، وإلا سينتظر في الشارع». كان للمحقّق أن يحكم، بأن سلوكيات السيدة تشير إلى أنها لا تقول الحقيقة. وقد تبيّن لاحقاً، بالفعل، أن لا علاقة لها بالجريمة، وأن عدم ارتياحها سببه القلق على ابنها.

سواء كان المحقق يتعامل مع صادقين أو كاذبين، سيرى منهم سلوكيات تدل على عدم الراحة النفسية. الأمر الوحيد الذي يمكن للمحقق المحترف القيام به هو محاولة تحديد سبب هذه السلوكيات، من دون الحكم مسبقاً على أنها تشير إلى الخداع، لأن العلم لا يدعم مثل هذه الفرضيات.

تهدئة المشتبه فيه

من الأمور التي يفترض بالمحقق القيام بها لجعل المشتبه فيه هادئاً خلال الاستجواب، أن يقول له، مثلاً: «أنظر، أنا المحقق في هذه القضية، ومن الواضح أنك هنا لسبب ما». نغمة الصوت الهادئة والمنخفضة أساسية للتأكد من أن المشتبه فيه بدأ في الاسترخاء على مستوى اللاوعي.

ما يحتاجه الاستجواب الفعّال هو شخص أكثر هدوءاً، ليكون قادراً على تذكّر كل ما حدث. عندما يمارس المحقق ضغوطاً، فإنه يؤثر في ذاكرة المشتبه فيهم. في مثال بسيط، عندما نشعر بالتوتر نعجز عن تذكّر أين وضعنا المفاتيح.

لذلك، فإن المحقق المهني يسعى إلى تهدئة المشتبه فيه، فلا يجلس قربه، بل يضعه قرب الباب، لأنه يعلم أن انتهاك المساحة الشخصية قد يجعله متوتراً، لذلك عليه أن يكون بعيداً منه بين 4 و 5 أقدام، وهو أمر غير معتاد حقاً. لأننا، بحسب ما نراه على شاشة التلفاز، اعتدنا رؤية المحقق قريباً جداً من المشتبه فيه.

ولجعل المشتبه فيه أكثر استرخاءً، يُقلل المحقق الناجح أيضاً من التواصل البصري الذي يُعدّ من الأمور المخيفة أثناء التحقيق. بعد ذلك قد يقوم المحقق بالزفير بطريقة لافتة أثناء النظر إلى الملاحظات، فعلى مستوى اللاوعي، قد يكرر المشتبه فيه حركة الزفير تلك، مما يساعد في استرخائه وتعزيز الثبات الداخلي Homeostasis لديه.

خلق الانزعاج

هل هناك أوقات نحتاج فيها إلى خلق ضغط نفسي على المشتبه فيه؟ الدراسات الحديثة لا توصي بذلك. بمجرد إنشاء ضغط نفسي، سيستغرق ساعة على الأقل لإعادة المشتبه فيه إلى حالته الطبيعية. فتصعيد الموقف لن يفيد أي شخص (المشتبه فيه/المحقق). ما يحصل فعلياً هو خروج المحقق عن مساره كمحاور لدرجة أنه قد يصبح محبطاً أكثر فأكثر، لا سيّما عندما يتمسك المشتبه فيه بسرد القصة نفسها، فيبدأ صبر المحقق بالنفاد، ويكون مضطراً إلى إنهاء المقابلة لأنه في تلك المرحلة يصبح غير قادر على التفكير بوضوح. علماً أن تكرار القصة نفسها من قبل المشتبه فيه قد يكون في بعض الحالات متسقاً مع ما حدث بالفعل.

> **يمكن للمحقق أن يقبل قصة المشتبه فيه كما رُويت، لكن المحقق المحترف يبذل جهداً للتشكيك بها والتأكد من صحتها**

المفاهيم الخاطئة عن الكذب

إذا لمس المشتبه فيه أنفه أو فمه أو حتى سعل، فهذا يعني أنه كان يكذب. إذا طلب المشتبه فيه شربة ماء أو إذا نظر إلى أعلى أو تلفّت يساراً ويميناً، فإنه يخترع إجابة ما. وحقيقة الأمر أن هذا كله غير منطقي وغير علمي. فهناك عدد من التصرفات التي يقوم بها المشتبه فيهم، من لمس الوجه إلى الاستنشاق وما إلى ذلك، وقد تدرب المحققون على أنها تشير إلى الخداع.

لكن أثبتت بعض حالات «تبرئة الحمض النووي» DNA exoneration في العقود القليلة الماضية في جميع أنحاء العالم، لمشتبه فيهم حُكم عليهم بالإعدام، أن لا علاقة لهم بالجريمة. والمحزن، في كل حالة على حدة، أنه لم يتمكن أي ضابط شرطة أو محقق أو مدع عام من اكتشاف الحقيقة، لكنهم جميعاً ادعوا أنهم قادرون على اكتشاف الخداع.

الأمر الآخر المثير للاهتمام أن بعض المشتبه فيهم كانوا على استعداد للاعتراف بجريمة ما، فقط لوقف عملية الاستجواب. هذا يعني أن في تلك المقابلات/الاستجوابات، التي تمّت على مدار ساعات، تحت الكثير من الضغط النفسي، والكثير من التهديد، كان المشتبه فيهم في النهاية على استعداد للقول بينهم وبين أنفسهم: «حسناً، ساعترف بذلك، رغم أنه قد يكلفني حياتي».

«خير الكاذبين»

الكاذبون الأكثر فاعلية هم الأشخاص الذين عادة ما يكذبون، ويمكنهم سرد قصص مقنعة للغاية. وإذا طرح المحقق سؤالاً، فإن إجاباتهم تكون شديدة الانسيابية. الأمر الوحيد الذي يمكن للمحقق القيام به لحماية نفسه من الخداع هو «ما يقال؟ وما هو الدليل؟». عندما يبدأ المحقق في الاستفسار حول القصة التي سردها المشتبه فيه، قد تبدأ الأحداث المفبركة بالانهيار، أو قد تسبب عبئاً معرفياً على المشتبه فيه، كأن يقول المحقق: «حسناً، أنت تقول إنك ذهبت إلى فرنسا، عبر أي مطار؟»، عندها يقول المشتبه فيه: «امم ، كما تعلم». ثم «يكافح» من أجل الخروج بإجابة.

من المفترض أن تثير الأسئلة البسيطة إجابات بسيطة، وعندما تخلق عبئاً معرفياً، فهذا لا يشير إلى الخداع، ولكن من المفترض أن تجعل المحقق يتساءل بالتأكيد: «هل هناك خطأ ما هنا؟». ويمكن للمحقق أن يقبل قصة المشتبه فيه كما رُويت، أو بذل جهد للتساؤل عنها أو التشكيك بها للتأكد من صحتها.

تحت القوس

لسنا من كوكب آخر

جنان الخطيب

المختبر الجنائي في ملحق «القوس» قسم متخصص يعرض أساليب التحقيقات والمباحث العلمية، ويناقش تحديات هذا المجال في لبنان، ويحاول عرض حلول علمية وواقعية يمكن من خلالها الوصول إلى الحقيقة. يقدّم القسم محققة جنائية محلفة من القضاء اللبناني ومتخصصة بعلوم الأدلة الجنائية. فلماذا المختبر الجنائي الآن؟ ولمن يتوجّه؟

المختبر الجنائي في «القوس» مخصص للمحقق والقاضي والضابط وغيرهم من قوى إنفاذ القانون، ليدركوا أن بإمكانهم الوصول إلى الحقيقة بشكل أدق باستعمال الأدلة الجنائية والابتعاد عن التعذيب لاستخراج الاعترافات. هذا المختبر الجنائي مخصص لهم، ليدركوا أهمية الحفاظ على مسرح الجريمة والأدلة، كونها الطريقة الوحيدة لكشف حقيقة ما حدث. وليدركوا أهمية استعمال تقنيات التحقيقات الاستنطاقية العلمية وحماية أنفسهم من العواطف والميول السياسية والفئوية عند بناء خلاصاتهم. وهو مخصص لهم للابتعاد عن الأحكام المسبقة والاستنتاجات المتسرعة.

المختبر الجنائي في «القوس» يخدم فريق الدفاع أيضاً. فيدرك المحامي كيفية الطعن علمياً بالأدلة التي تُعرض في المحكمة، إذا لم تستوف شروطاً معينة في الحماية والتحليل مثلاً. كذلك يدرك المحامي أنه يمكن الاستعانة بخبير محلف لإعادة فحص وتحليل الأدلة في مسرح الجريمة. كما ينمّي هذا المختبر ثقافته العلمية في ما خصّ الأدلة الجنائية التي قد تساعده في مرافعاته وتحليلاته وفرضياته.

المختبر الجنائي لعائلات الضحايا والجناة، إذ يُعزز كرامة الضحية بإثبات ذنب المجرم. وكم من قضية قتل قُبركت على أنها انتحار؟ المختبر الجنائي للشباب، ليُقدّم الصورة الحقيقية للمباحث العلمية، المختلفة تماماً عمّا يُسلّط الضوء عليه في الأفلام والبرامج التلفزيونية مثل CSI، Spooks وغيرها. إذ يعتقد منتجو الأفلام، ربما، أن العلم الحقيقي لا يصلح دائماً للترفيه وجذب المشاهدين، لذلك يميل الكتّاب إلى أخذ بعض الحرية في وصف وتصوير عمل المحققين الجنائيين. قد يكون الاختبار الذي يستخدمونه في العرض موجوداً بالفعل، ولكنه لن يكون سريعاً أو دقيقاً في الحياة الواقعية، وغالباً ما تكون التقنيات التي يستخدمونها سخيفة! فمن قال إنه يمكن في ثوان فقط تحديد مصدر بصمة الإصبع، وهوية المشتبه فيه وماذا تناول على وجبة الغداء؟ واقعياً، كل ما يفعله الكومبيوتر الذي يصورونه في الأفلام هو تقليص الاحتمالات (أعداد المشتبه فيهم) فقط. ثم يقوم خبير متخصص بمقارنة البصمات بطريقة دقيقة وعلمية وموثقة، تأخذ ساعات من العمل. كما يقوم خبير آخر بالتدقيق في البصمة ذاتها للتحقق من صحة النتيجة الأولى.

في «المختبر الجنائي» في «القوس» نعمل دائماً على تبسيط المعلومات وجعلها جذّابة قدر المستطاع من دون المسّ بدقتها وواقعيتها. كذلك نحرص على تسليط الضوء، لمعالجة الجرائم في لبنان في إطار المباحث العلمية. وندرك جيداً أن القرّاء لم يعتادوا هذا النوع من المقالات، لا سيّما أن هذا القسم هو الأول في الصحافة العربية. لذلك، تواصلوا معنا، أرسلوا لنا اقتراحاتكم في المواضيع التي تريدون منا معالجتها.. فنحن لسنا من كوكب آخر.

متابعة

حذار الجرائم أثناء «الإغاثة»

من المستبعد أن يُبلّغ عن جرائم تحدث أثناء "الإغاثة" في حالة الكارثة الطبيعية بالحجم الذي تواجهه سوريا وتركيا في الوقت الحاضر. الجميع -الشرطة والجيش والمستشفيات والعاملون الصحيون ووسائل الإعلام وحتى السياسيين- في حالة تأهب قصوى ويركزون على الإنقاذ. كما أن الجميع منشغلون بجمع التبرعات المادية والعينية لتوزيعها على الأشخاص الذين تم إنقاذهم. تعرض وسائل الإعلام كل أنواع المشاهد التي تؤلم القلوب وتنتهك الخصوصية وتستبيح الأعراض.

الكوارث هي أفضل الأوقات التي ينتهزها المجرمين، إذ من السهل عليهم الاندماج في الفوضى لارتكاب الجرائم، خاصة عندما يكون هناك الكثير من الأطفال والنساء المنكوبين. قد تفكر: هل يُعقل أن يكون الإنسان قاسياً لدرجة إقدامه على الاغتصاب أو الاختطاف أو القتل بعد زلزال مدمّر؟ في الحقيقة، يترصّد المجرمون هناك، في انتظار الوقت المناسب. لذلك، من المهم فهم هذه الظواهر في سبيل تطوير استراتيجيات فعّالة لمنع الأعمال المعادية للمجتمع عند وقوع الكوارث في المستقبل.

علماً، أن تعزيز التعاون بين الأفراد يأتي في أعقاب الأحداث المدمّرة، مثل الزلازل أو الحرائق الكبيرة أو الأعاصير، بحيث يتّحد الناس إلى حد كبير ويبحثون عن طرق لدعم بعضهم البعض وحماية ما تبقى منهم وإعادة إحساسهم بالحياة الطبيعية. في المقابل، هناك بعض الاستثناءات، إذ يقدم بعض الأفراد في مناطق الكوارث على سلوكيات إجرامية كالنهب، والاعتداءات الجنسية، وأعمال العنف، والاحتيال.

لذلك، لا بد من التذكير بالقضايا الأخلاقية والسلوكيات المهنية التي تنطوي عليها الخدمات الإنسانية وأنشطة الإغاثة المقدمة خلال الكوارث، لا سيّما في ما يتعلق باحترام خصوصية الضحايا والناجين، وعدم الإساءة لهم وصون حرمتهم وكرامتهم الإنسانية.

لحظة إلقاء القبض على شخص مشتبه به بانتحال صفة فريق إنقاذ أثناء سرقة منزل في تركيا

جرائم الممتلكات

قد تتعرض المنازل والمباني المدمّرة وغيرها من الممتلكات إلى عمليات نهب في أعقاب الكوارث، التي تجبر العديد من الناجين ترك منازلهم وأعمالهم، كنهب الأموال والمجوهرات وغيرها. ومن المنطقي، أنه كلما كانت الظروف الاجتماعية والاقتصادية أسوأ، زادت عمليات السطو التي تحدث في أعقاب الكارثة. ومن الصعب حينها تحديد إذا كان النهب قد حدث بالفعل، لأن الضرر المادي الناجم عن الكارثة نفسها يعطي مظهرًا خاطئًا لحدوث النهب. لذلك، ينبغي على أجهزة إنفاذ القانون مراقبة المناطق المتضررة بشكل دائم، وحمايتها من جرائم الممتلكات.

> **من المفترض أن يلتزم القائمون بأعمال الإغاثة والوسائل الإعلامية بمدونة أخلاقيات إلى جانب مدونة قواعد السلوك المهني**

العنف الجنسي

مع زيادة عدد الغرباء في المناطق المنكوبة، يمكن لأي شخص أن يتظاهر بأنه أحد الوالدين أو الأقرباء أو مقدم رعاية أو متطوع، ليسهل عليه الوصول إلى الضحايا. لذلك، يمكن لعمليات الاغتصاب والاعتداءات الجنسية والقتل أن تصبب المجتمعات بعد الكوارث. لكن، كما هو الحال مع جرائم النهب، هناك صعوبات في قياس مؤشر تلك الجرائم، وخاصة عندما يؤدي الدمار الشامل إلى تعطيل عمل وكالات العدالة الجنائية.

فالنساء معرّضات للعنف الجنسي بشكل خاص، لا سيّما إذا كُلّفنّ برعاية الأطفال أو الأقارب الآخرين، مع انعدام توفّر أي وسيلة لمغادرة المنطقة المتأثرة بالكارثة. وقد تُجبر بعضهنّ على مواقف مسيئة، أثناء بحثهن عن الطعام والضروريات الأخرى لأسرهن، أو بحثهن عن مأوى، أو عن وسيلة نقل إلى خارج المنطقة المنكوبة. كما أنه ليس مألوفًا أن تُغتصب النساء في ظروف مضطربة، أو يُعتدى عليهنّ جنسيًا من قبل أشخاص يعرفهُنّ. وقد تلعب الروابط الاجتماعية بجميع أنواعها، دورًا مهمًا في مساعدة الأشخاص المتضررين من الكوارث على تخطّي الأزمة والتعافي، وخاصة النساء اللواتي يسعين إلى رعاية أحبائهن.

تطبيق الاخلاق اثناء الاستجابة للكوارث

عقب الزلزال الذي ضرب سوريا وتركيا، اجتاحت صور وفيديوهات الضحايا والناجين مواقع التواصل الاجتماعي. إذ ظهر في إحدى الفيديوهات عشرات المسنين في الشوارع التركية، مجردين من ملابسهم، وبعضهم قد تبوّل على نفسه. وفي مقاطع أخرى ظهر بعض الأشخاص من ذوي الاحتياجات الخاصة في حالة هلع. أما في سوريا، جرى تداول فيديوهات لنساء محجبات ناجيات انتهكت حرمتهن، وتسجيلات صوتية لأطفال تُسيء لهم ولكرامتهم الإنسانية. يشكل هذا "التردد" السائد انتهاكاً لخصوصية الأفراد واستباحة لأعراضهم. لذلك لا بد من التذكير بضرورة التزام المتخصصين في إدارة الطوارئ بمجموعة من المبادئ الأساسية التي توجه الممارسات الأخلاقية والسلوكيات المهنية.

ومن المفترض، أن يلتزم القائمون بأعمال الإغاثة والوسائل الإعلامية بمدونة أخلاقيات Ethics في سبيل المساعدة في تأطير التفكير الأخلاقي حول السلوكيات والقرارات إلى جانب مدونة قواعد السلوك المهني Code of conduct.

جنان..

سين جيم

تختلط على كثير من اللبنانيين عبارات ومصطلحات تتناول قانون التقاعد والحماية الاجتماعية. منهم من يتناول الموضوع من ناحية الشيخوخة فحسب، فيستعمل عبارة «ضمان الشيخوخة». ومنهم من يتناوله من ناحية الطبابة لكبار السن فحسب، فيستعمل «الحماية الاجتماعية».

ومنهم من يتناول تحويل تعويض نهاية الخدمة إلى معاش تقاعدي. لذلك نحاول في ما يأتي توضيح المفاهيم وعرض التعابير المقصودة بناءً على الهدف المطلوب من مفهوم الحماية الاجتماعية. وفق أحكام القانون اللبناني. فحتى 10 شباط 2017، لم تكن توجد نصوص في لبنان مرتبطة بالضمان الاجتماعي. فمنذ عام 1978، وضع الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي مشروعاً لقانون الشيخوخة والعجز والوفاة. استكمل عام 1987، واستُبدلت تسميتُه بـ«مشروع قانون التقاعد والحماية الاجتماعية». إلى ان صدر في 2017/02/10 القانون رقم 27، قانون إفادة المضمونين المتقاعدين من تقديمات فرع ضمان المرض والامومة (العناية الطبية في حالتَي المرض والامومة). ونُشر في الجريدة الرسمية (عدد 8 ، تاريخ 2017/02/16). فما هي هذه الاحكام، وما هو نظام الضمان الصحي الاختياري للمسنّين اللبنانيين؟

صادق علوية

(هيثم الموسوي)

فوارق قانونية بين قانون ضمان الشيخوخة وتحويل تعويض نهاية الخدمة إلى معاش تقاعدي

قانون التقاعد والحماية الاجتماعيّة

1. ما هو مشروع قانون التقاعد والحماية الاجتماعية؟

مشروع قانون التقاعد والحماية الاجتماعية هو مشروع القانون الوارد إلى مجلس النواب بموجب المرسوم رقم 13760 الرامي إلى تعديل بعض أحكام قانون الضمان الاجتماعي وإنشاء نظام التقاعد والحماية الاجتماعية الذي سبق أن نال موافقة مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في 2004/12/9. وقد أحيل إلى مجلس النواب مشروع القانون الرامي إلى تعديل بعض أحكام قانون الضمان الاجتماعي وإنشاء نظام التقاعد والحماية الاجتماعية في 15 كانون الأول 2004. ودرسته وعدّلته اللجنة الفرعية المنبثقة عن اللجان النيابية المشتركة، ومن ثمّ درسته وعدّلته اللجان النيابية المشتركة واقرّته بتاريخ 2008/10/17. ثم في عام 2020 قد عُدّل اسمه إلى: قانون التقاعد والعجز والوفاة، ثم إلى: قانون التقاعد (أو المعاشات التقاعدية) بعد أن أُقرّ قسم منه كما يتبيّن في الأجوبة التالية.

2. ما هو الهدف من مشاريع قوانين التقاعد والحماية الاجتماعية؟

تهدف هذه المشاريع إلى تحقيق الانتقال من نظام تعويض نهاية الخدمة المعمول به حالياً منذ عام 1963 إلى نظام يؤمّن:

- المعاش التقاعدي للمتقاعد وخلفائه بما يُؤمّن استمرار الحماية في حالات الشيخوخة والعجز والوفاة.
- التغطية الصحية للمتقاعدين ولعائلاتهم (وهو هدف تمّ تحقيقه عام 2017).

3. ما هي الاقسام الرئيسية لمشروع قانون التقاعد والحماية الاجتماعية المعروض حالياً؟

يتضمن مشروع التقاعد والحماية الاجتماعية قسمين رئيسيين:

- الأول: تأمين الاستشفاء والطبابة للمضمونين بعد التقاعد وقد تم تحقيقها عام 2017.
- الثاني: تحويل تعويض نهاية الخدمة إلى معاش تقاعدي.

4. ما هو الوضع الحالي للاشخاص المضمونين الذين تنتهي خدمتهم بسبب التقاعد؟

حتى 10 شباط 2017، لم تكن توجد نصوص في لبنان مرتبطة بالضمان الاجتماعي تُؤمّن استمرار الحماية من جهة الطبابة في حالات الشيخوخة والعجز والوفاة. وفي 2017/02/10، صدر القانون رقم 27 تحت عنوان قانون «إفادة المضمونين المتقاعدين من تقديمات فرع ضمان المرض والأمومة»، وأصبح الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي يغطي المضمونين المتقاعدين بتقديمات فرع ضمان المرض والأمومة. وهو يشمل: المضمون الذي انتهت خدمته بسبب بلوغه السن القانونية، والمضمون الذي انتهت خدمته بسبب العجز. وبذلك يكون قد تحقق الشق الأول من الحماية الاجتماعية المتمثل بالطبابة والاستشفاء مقابل اشتراك يبلغ 9% من الحد الأدنى للأجور، يسدده المتقاعدون بعد التقاعد، ويبقى الشق الثاني المتمثل بتحويل تعويض نهاية الخدمة إلى معاش تقاعدي.

5. ماذا عن الاشخاص المسنّين غير العاملين والبالغين 64 سنة الذين لا غطاء صحيا لهم؟

أُرسيَ نظام ضمان صحي اختياري للمسنّين اللبنانيين وفق أحكام ومبادئ تحددت بموجب القانون رقم 248 الصادر في 2000/9/9، الذي يرمي إلى وضع نظام ضمان صحي اختياري للمسنّين، إذ نصّ في مادته الأولى على أن ينشأ لدى الصندوق الوطني للضمان الاجتماعي، فرع ضمان المرض والأمومة، قسم نظام ضمان صحي خاص بالمضمونين الاختياريين المسنّين مقابل مساهمة المضمون الاختياري الشهرية: 6% من الحد الأدنى الرسمي للأجور. ولكن، نظراً إلى طريقة تمويل هذا النظام التي اعتمدت على مساهمة الصندوق في تحمل النفقات، ولعدم استناد القانون الى دراسة تؤمّن التوازن المالي ولعدم كفالة الدولة لتغطية كلفته، لم يوضع هذا النظام موضع التنفيذ. أضف أن المادة التاسعة من القانون نصّت على تحديد دقائق تطبيق أحكام هذا القانون، بمرسوم يُتخذ في مجلس الوزراء، الأمر الذي لم يحصل حتى تاريخه.

> في حال عمل الأجير المضمون لأكثر من عشرين سنة يحقّ لمن بلغ الستين من العمر (بناءً على طلبه أو الرابعة والستين حكماً) تعويض إضافي قدره نصف شهر عن كل سنة خدمة لاحقة للعشرين سنة الأولى

6. ما هي تفاصيل مشروع قانون التقاعد او المعاشات التقاعدية المعروض على اللجان المشتركة النيابية؟

هو نظام يقوم على دفع تعويض نهاية الخدمة على شكل معاشات تقاعدية، يتضمّن أسساً جديدة لاحتساب هذا المعاش بحيث يرتبط بتطور رواتب الأجير، ويتضمّن اشتراكات إضافية على كل من أصحاب العمل والأجراء، مقابل تأمين حد أدنى من المعاش التقاعدي يشكل نسبة من الحد الأدنى للأجور، وضمانة أن لا يقل عن حد أدنى آخر يرتبط بسنوات خدمة الأجير وبنسبة مئوية ولو ضئيلة من الراتب الأساسي للأجير، ويتضمّن أنظمة جديدة لاستثمار الأموال. كما أُضيفت إمكانية الاشتراك الاختياري لأصحاب العمل والعمال العائليين (غير الخاضعين) اختيارياً وكذلك المغتربون. كما حدد إمكانية إضافة فئات جديدة ليشملها النظام للاستفادة من نظام المعاشات التقاعدية، ويحدد شروط استحقاق معاش التقاعد، كما يتضمّن عدة عناصر أساسية لتحويل المعاش التقاعدي، أهمها الحساب الفردي والسن وسنوات الاشتراك إضافة إلى عامل التحويل الذي يتضمّن الحد الأدنى للأجور، ومعدل الحياة والفائدة وأسعار الاستهلاك أو متوسط الرواتب.

7. ماذا عن المشروع الذي تناولته وزارة العمل والذي يتضمّن تحويلاً فورياً لتعويض نهاية الخدمة إلى معاش تقاعدي؟

هو نظام مؤقّت، ريثما يتم إقرار قانون المعاشات التقاعدية. فقد أجاز قانون الضمان في الفقرة 5 من المادة 54 للأجير المضمون الذي أتم الستين من عمره أو الرابعة والستين حكماً، تحويل معاشه إلى معاش مدى الحياة بناءً على طلبه، ووفقاً للطرق التي يحددها نظام الصندوق الداخلي. إلّا أنه وباستعراض نظام الصندوق الداخلي ذي الصلة، وهو نظام تعويض نهاية الخدمة، نرى انعداماً لآلية احتساب المعاش الشهري أو قيمته. ويبقى هذا النظام اختيارياً كون نص الفقرة 5 من المادة 54 استعمل عبارة «يمكن». بناءً على طلبه»، حيث يقتضي على النظام المزمع طرحه تحديد أحكام لتحويل التعويض إلى معاش وطريقة احتساب المعاش التقاعدي وأساس الراتب وغيرها من التفاصيل ذات الصلة.

ماهو نظام تعويض نهاية الخدمة الحالي وكم يبلغ التعويض؟

هو مبلغ من المال يُدفع لمرة واحدة للأجير الذي انتهت خدمته لتعويضه عن أجره المفقود وتمكينه من الإنفاق على حاجات معيشته. وهو يعادل شهراً عن كل سنة خدمة، وفق الأجر الذي تقاضاه صاحب العلاقة خلال الشهر الذي سبق نشوء الحق بالتعويض. أما في حالة العجز، فإن التعويض يجب أن يكون معادلاً على الأقل لأجر عشرين شهراً. وفي حالة الوفاة فإن التعويض يجب أن لا يقل عن راتب 6 أشهر.

وفي حال عمل الأجير لأكثر من عشرين سنة، يحق له تعويض إضافي، يستحق للمضمون الذي بلغ الستين من العمر (بناءً على طلبه أو الرابعة والستين حكماً) وقدره نصف شهر عن كل سنة خدمة لاحقة للعشرين سنة الأولى.

الرسمية Gazette

الصيرفة عام 1927

في 3 تشرين الأول من العام 1927 أقرّ مجلسا الشيوخ والنواب اللبنانيان قانوناً يختص بمعاشات التقاعد ورواتب الاستيداع. واللافت أنه تضمّن كيفية احتساب الرواتب عبر تحويلها من الغروش التركية أو المصرية إلى الليرة الذهبية اللبنانية، بحيث تُحوّل معاشات التقاعد على أساس 70 غرشاً لبنانياً ذهباً لكل ليرة تركية في ما يتعلق بمعاشات التقاعد أو رواتب الاستيداع "المعزولية" التي جرت تصفيتها قبل شهر نيسان سنة 1920. والمحررة بالغروش التركية وبنسبة 55 غرشاً لبنانياً ذهباً لكل ليرة في ما يتعلق بمعاشات التقاعد أو رواتب الاستيداع التي جرت تصفيتها بعد شهر نيسان سنة 1920.

تحت القوس

الخصخصة بالإهمال

صادق علوية

يعيش اللبنانيون الآن في خضّم تأسيس عقد اجتماعي جديد، إلا أن هذا العقد غريب هجين قائم على عناصر عدة، أهمها:

■ **أولاً**، لهذا العقد صفة الإذعان خلافاً للعقود الاجتماعية السابقة التي عرفتها البشرية. فاللبنانيون والمقيمون على الأراضي اللبنانية ملزمون حكماً بهذا العقد الذي يضعه ويطبّقه صانعو السياسات الاقتصادية، من دون أي نقاش مع أي من الجهات الاقتصادية والاجتماعية الفاعلة، وكأنه حكم توتاليتاري اقتصادي.

■ **ثانياً**، يتميز هذا العقد بأنه عقد ساحق للطبقات الاجتماعية الفقيرة ومُفقر لطبقات أخرى لم تكن كذلك.

■ **ثالثاً**، قيام هذا العقد على أنقاض أموال المودعين، كما قامت «سوليدير» على أنقاض مالكي عقارات مدينة بيروت في الفترة السابقة للعام 1990.

■ **رابعاً**، الخطير في هذا العقد أن عنوانه «الرأسمالية المفرطة» التي لا تجد فيها أياً من عناصر دولة الرعاية الاجتماعية أو الحماية الاجتماعية المفقودتين، في ظل عدم وجود مؤسسات ضامنة رسمية قادرة على القيام بدورها.

■ **خامساً**، المخيف من جهة أخرى أن غياب العدالة الاجتماعية مقترن مع غياب القضاء أيضاً، في ظل عدم اهتمام القائمين على هذا العقد بهذا المرفق. وكأن الهدف البعيد هو خصخصة القضاء على قاعدة أن من يملك أكثر يفوز بمنحة اللجوء إلى القضاء، بسبب عدم قدرة المتقاضين على تسيير مرفق القضاء بأموالهم إلا من كان مقتدراً على هذا التسيير.

■ **سادساً**، يلاحظ دخول مفاجئ لمحتكرين جدد وغياب ملفت لمحتكرين سابقين، ما يؤكد استمرار احتكار سلع اللبنانيين مع تغيير في توزيع أوراق الاحتكار.

■ **سابعاً**، انتقال المصارف من ضفة الحاكم المطلق الذي لأجله توضع السياسات وعلى مقاسه، إلى ضفة أخرى تجعله مستفيداً من معظم السياسات وليس كلها، ومستفيداً من إعفائه من أموال المودعين عن المرحلة السابقة بناء على قاعدة «عفا الله عمّا مضى» مقابل دور محدود له في المرحلة المقبلة.

■ **ثامناً**، بروز قوي لأنظمة بديلة عن المصارف تقوم على إرساء نظام دفع مؤقت وقد يدوم لسنوات، قائم على شركات تحويل الأموال التي تتولى الدفع عبر بطاقات الدفع الإلكترونية الخاصة بها وبرامجها وتطبيقاتها الإلكترونية التي ربما نجحت في صدقية تعاملها، حالياً، مع المواطنين.

والأغرب أن الدولة تعتمد في هذا العقد على مبدأ «الخصخصة بالإهمال»: الصحة والطاقة والمياه والنقل، والبيئة.. كلها مواضيع لجأت الدولة إلى ابتداع طريقة لخصخصتها عبر إهمالها، ما دفع المقيمين إلى البحث عن بديل، فكان المقتدر القوي هو الأجدر بحيازة القدرة على الفوز بالامتياز، كالمولّد مثلاً وشركة التأمين وغيرهما. هكذا تتهاوى دولة الرعاية الاجتماعية لتصبح منصّة تشهد على سلب الحقوق.

ربما يعيش اللبنانيون في مكان واحد، لكنه حتماً ليس «دولة». إنه مجرّد منصّة تجمعهم.

(مروان بو حيدر)

القوس
■ فريق التحرير: عمر نشابة (المسؤول)، وفيق قانصوه، جنان الخطيب، صادق علوية، ألف باء القانون
■ تصميم فني وإنفوغرافيك: رامي عليّان
alqaous alqaous22 al_qaous alqaous
01/34 99 54
www.alqaous.com info@alqaous.com